



روايات مصرية للجيب -

رجل و قلبان

Looloo

زهور
٤٧

www.dvd4arab.com



شريف سوقي

الناشر
المؤسسة العربية الجديدة

الطبع والنشر والتوزيع

١٠٠ شارع سينما بالعجيزة - القاهرة - ت ٩٠٨٥٥٥

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبإبتعاده عن
الأنانية والرغبات والشهوات ، هو أعظم شىء خلقه الله فى
هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية
والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا ..
نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق
عبرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة : دعنا ننقل
من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر ..
ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - فى عينيك سعادتى ..

جلس (صلاح) فى قاعة الانتظار بالمستشفى ، وهو
يراقب فى قلق وتوتر مغادرة الطبيب للحجرة ، التى تنزل
فيها ابنة خالته (نهى) ، وما إن رآه يغادر الغرفة ، حتى
اندفع نحوه فى لهفة ، قائلاً :

- هيه يا دكتور .. هل تحسنت حالتها ؟

هز الطبيب رأسه ، قائلاً :

- نعم .. حالتها مطمئنة الآن .

ارتسمت ملامح الارتياح على وجه (صلاح) ، وهو
يقول :

- حمداً لله .. إذن تستطيع أن تغادر المستشفى معى
الآن ؟

رد عليه الطبيب ، قائلاً :

- بالطبع .. ولكن أريد منك أن تأتى معى إلى حجرتى
أولاً .

سار (صلاح) معه ، حتى وصلا إلى حجرة الطبيب ،
الذى دعاه إلى الدخول ، والجلوس أمام معتبه ، قائلاً :

- أنت تعرف طبعا الظروف النفسية السيئة ، التى أدت

***** ه *****

بابنة خالتك إلى حالة الانهيار العصبى ، التى استدعت دخولها المستشفى ، وعلى الرغم من أنها اجتازت الأزمة ، وأصبحت حالتها مطمئنة من الناحية الطبية ، إلا أننى لا أخفى عليك .. هناك احتمال كبير أن تعاودها الأزمة مرة أخرى ، إذا لم تلق العناية الواجبة منكم .

(صلاح) :

- وما الذى تشير علينا به ؟

(الطبيب) :

- (نهى) قد تمر بحالة اكتئاب شديدة ، بعد خروجها من المستشفى ، وهذه الحالة قد تنقلب إذا لم يتم التغلب عليها ، إلى أزمة نفسية مستحكمة ، ربما أدت بها إلى انهيار عصبى آخر ، لذا يتعين عليك وعلى المحيطين بها مراعاة حالتها هذه ، حتى لا تستسلم لحالة الاكتئاب ، إذا ما تعرضت لها ، وهذا يتطلب إحاطتها بجو من الحب والحنان ، والدفع الذى افتقدته بوفاة أمها ، بعد أن رحل عنها أبوها . منذ بضعة أشهر قليلة ، لقد كان أبوها وأمها هما كل حياتها ، وبفقدتهما أصبحت تحس بحالة طاغية من الوحدة ، وتجسست لديها مرارة اليتيم ، فإسرافهما البالغ فى عواطفهما تجاهها ، بالإضافة إلى تعلقها الشديد بهما ، جعلها تسرف فى الأخرى فى حزنهما عليهما ، والذى ازداد

***** ٦ *****

بوفاة الأم ، فأخذت تتصور أن الحياة لم يعد لها معنى بعد رحيلهما ، حتى أنها بدأت تشعر بفقدان الرغبة فى الحياة أحيانا .

ويتعين عليك أن تجتهد فى جعلها تتشبث بالحياة مرة أخرى ، وتتخلص من مرارة الشعور بالوحدة واليتيم الذى تملكها .. هذا دورك ودور والدتك ، ودور كل المحيطين بها ، حتى يكتمل شفاؤها تماما .

(صلاح) :

- تأكد أننى سأعمل على تنفيذ ذلك يا دكتور ، وسنبذل قصارى جهدنا لتعام شفافها ، إنها قريبة جدًا من قلبى ، ووالدتى تعدها بمثابة ابنتها .

(الطبيب) :

- إنها ستعيش فى منزل والدتك .. أليس كذلك ؟

(صلاح) :

بلى .. فلم يعد لها أقارب سوانا ، وحتى لو كان لها فنحن أحق الناس بها وبرعايتها .

(الطبيب) :

.. حسن .. يمكنك أن تصحبها إلى المنزل الآن ، ولاتنس ما قلته لك .

نهض (صلاح) ليصافح الطبيب ، قائلا :

***** ٧ *****

- حتى لو لم تقله يا دكتور .. (نهى) ستكون فى
أعيننا ، وسنتولاها بكل رعاية وعناية .

غادر (صلاح) غرفة الطبيب ليسير فى المعمر المؤدى
إلى غرفة (نهى) ، وقد تراحمت فى مخيلته صور عديدة
متلاحقة .

صورة من صباه ، وهو يداعب ابنة خالته ، وهى بعد
طفلة صغيرة ، على شواطئ (الإسكندرية) ، وشقاوتها
اللذيذة معه ، وهى تلقى فوق رأسه بدلو الماء ، ثم تفر
هاربة ..

تذكر كيف كانت هذه الطفلة متعلقة به بشدة ، فى
مرحلة الطفولة والصبا ، وكيف كانت لا تفارقه كلما حضر
إلى (الإسكندرية) برفقة والدته ، لزيارة خالته ، وهى
الأخرى كانت لها منزلة خاصة لديه ، فأحيانا كان ينظر
إليها على أنها بمثابة الأخت المقربة إليه ، وأحيانا أخرى
كان يشعر بشيء من العاطفة المضطربة المترددة ، التى
تتجاوز الشعور الأخوى تجاهها ، خاصة عندما كان يرى
تلك النظرة الحالمة فى عينيها ، وهى تنظر إليه ، وتلك
اللمسة الحانية ، كلما تعلقت بيده أو بذراعه ، ولكنه
سرعان ما كان ينفذ عن نفسه هذا الشعور ، بل ويلوم
نفسه عليه ، إذ كان يحس دائما أنه يتعين عليه أن

يعاملها على أنها بمثابة أخت صغرى له ، وأن يحيطها
باهتمامه على هذا الأساس ..

ومرت بمخيلته أيضا صورتها وهى تنتحب ، وتدفع
برأسها إلى الحائط ، إثر وفاة والدتها ، وتلك الحالة
التشنجية التى تملكها ، والتى انتهت بإدخالها
المستشفى ، لكى تعالج من الانهيار العصبى الذى لحق
بها .. تذكر مدى حزنه وألمه ، وهو يراها فى هذه
الحالة ، وإحساسه بالذنب ، لعجزه عن مساعدتها .. لقد
بكت والدته كثيرا ، وهى تراها على هذا النحو ، وتحاول
أن تهدئ من ثائرتها ، أما هو فقد وقف عاجزا ، وكأن
حواسه كلها قد شلت ، فى حين يتمزق قلبه من الداخل ،
لرؤيته لها على هذا النحو .. لقد صدمه أن يرى (نهى) فى
هذه الصورة المؤلمة ، حتى أن حزنه من أجلها قد أنساه
حزنه على وفاة خالته .

فتح (صلاح) باب الحجرة ، ليجدها جالسة على حافة
الفرش ، وهى تحنق فى النافذة المفتوحة بنظرة شاردة ،
لا تنم عن أى معنى أو إحساس ، واقترب منها هامسا
وهو يبتسم :

- صباح الخير يا (نهى) .

صمتت لبرهة ، دون أن ترد تحيته ، ثم قالت وهى

ما زالت تحقق عبر النافذة المفتوحة :

- لقد تأخرت اليوم في الحضور .

أجابها قائلاً :

- أبدا يا (نهى) .. لقد حضرت مبكرا ، وفي موعدى

تماما ، ولكننى انتظرت حتى ينتهى الدكتور من فحصك ،

ثم تحدثت إليه بعض الوقت ، قبل أن أحضر إليك .

سألته قائلة ، وهى مستمرة فى نظرتها الشاردة ، دون

أن تلتفت إليه :

- ماذا قال لك عنى ؟

جلس (صلاح) إلى جوارها ، قائلاً بحنان :

- لقد طمأننى تماما عليك ، وأخبرنى أنك تحسنت

كثيرا .

التفتت إليه فى انفعال ، قائلة :

- ترى من منكما الكاذب ؟ أنت أم هو ؟

قال محتفظا بنبرات صوته الهادئة الحنون :

- وما الذى يدعو أحدهما إلى الكذب ؟ .. لقد شفيت

بالفعل .. والدليل على ذلك أنه وافق على أن تغادرى

المستشفى ، وقد جنت الآن لأخذك معى إلى المنزل .

قالت وقد تبدلت ملامحها ، فأصبحت تنظر إليه فى

ضعف ووهن :

***** ١٠ *****

- ولكننى أشعر بأننى مازلت مريضة .

قال مطمئنا ، وهو يحيط كتفها بساعده :

- من قال هذا ؟ إنك لا تشعرين بأى مرض .. كل

ما هنالك أنك قد مررت بأزمة نفسية ، نتيجة لحزنك على

وفاة خالتى ، وهاهى ذى الأزمة قد انتهت على خير ،

وستعودين معى إلى المنزل ، حيث تتلف والدتى على

رؤيتك .

تدفقت الدموع من عينيها ، قائلة بصوت خفيض يقطر

حزنا :

- ولكنها لن تعود .. أمى لن تعود .. لقد رحلت عنى

إلى الأبد ، كما فعل أبى من قبل ..

لقد تركانى ورحلا .. لماذا تركانى فى هذه الدنيا ،

وجاء رحيلهما مفاجئا هكذا دون مقدمات ؟

شدّد (صلاح) من قبضته على كتفها ، وهو يضمها إلى

صدره قائلاً :

- هذا كلام لا يصح أن يصدر عن فتاة تؤمن بقضاء الله

وقدره .. إنها سنة الحياة يا (نهى) .. نجىء إلى هذه

الدنيا ونرحل وفقا لإرادة الخالق سبحانه وتعالى .. وعلينا

جميعا أن نمثل لمشيئته .

ارتفع نحيبها ، وهى تقول :

- أعرف ذلك .. ولكننى لا أقوى على تحمله .. كلما

***** ١١ *****

تذكرت أنني لن أرى أمي مرة أخرى ، أشعر بأن حزني أقوى مني ، وبأنني عاجزة عن تحمله .
(صلاح) :

- ستقدرين .. (نهى) التي أعرفها أقوى من أن تستسلم لأحزانها على هذا النحو .. لقد فقدت والدك ووالدتك ، ولكن تنسين أن لك أمًا أخرى وأبا آخر يحبانك ، يسعدان لإسعادك ، ويتألمان لآلامك .

تطلعت إليه (نهى) من خلال دموعها ، وقد تعلقت عينها بعينه ، في حين قال لها بصوته الهامس الحنون :
- نعم يا (نهى) .. أنت تعرفين مدى ما تكنه لك أمي من حب ، وأنها تعدك بمثابة ابنتها ، أما أنا فساكون لك أبا وأخًا وصديقًا ، وكل شيء تريدونه .. هيا .. هيا يا (نهى) نذهب إلى المنزل .

وساعدها في جمع حاجياتها ، ثم صحبها إلى خارج المستشفى ، حيث استقبلتها خالتها بكل ود وحنان ..
ومضت الأيام التالية ، وهي تضاعف من حنانها وحبها ، في محاولة منها لاحتواء أحزانها ، وكذلك بذل (صلاح) أقصى جهده لمساعدتها على النسيان ، وإدخال البهجة والسرور إلى نفسها .

وكانت (نهى) تتجاوب معهما من أن لآخر ، لكنها

سرعان ما كانت تستسلم لنوبات الحزن والاكتئاب التي تملكها ، كلما تجددت لديها الذكرى ، وعاودها الحنين لأمها الراحلة .

وبعد مرور ثلاثة أسابيع ، بدا أنها قد بدأت تمارس حياتها بصورة طبيعية ، وفي إحدى الليالي عاد (صلاح) من الخارج ، حيث استقبلته أمه قائلة :
- لماذا تأخرت كل هذا الوقت يا (صلاح) ؟

(صلاح) :
- لقد امتدت بنا السهرة ، أنا و (حسين) و (مدحت) ، وأنت تعرفين أنني لم ألتق بهما منذ حضرت (نهى) إلى منزلنا .. بالمناسبة أين هي ؟
أجابته الأم قائلة :
- في غرفتها .

(صلاح) :
- هل تناولت عشاءها ؟
قالت الأم :

- أبدًا .. لقد حاولت معها كثيرًا ، ولكنها أبت أن تتناول العشاء ، كما يبدو أن حالة الاكتئاب قد عاودتها ، وهذا ما جعلني أنتظر حضورك بفارغ الصبر ، فتأثيرك عليها أقوى مني .

أطلق (صلاح) زفرة قصيرة ، ثم قال :

- حسن .. سأذهب إليها .

طرق الباب عدة طرقات ، قائلاً :

- (نهى) .. هل أستطيع أن أدخل ؟

ولكنه لم يتلق منها إجابة ، فبادر بفتح الباب ، حيث
وجدها متكئة حول نفسها فوق الفراش ، وفي عينيها
نظرة حزينة ، ودنا منها قائلاً :

- مساء الخير يا (نهى) .

ولكنه لم يتلق إجابة أيضاً ، فبادر إلى الجلوس على
المقعد المواجه للفراشها ، قائلاً :

- لماذا لم تتناولى العشاء حتى الآن ؟

تحولت إليه وفي عينيها نظرة تنم عن غضب مكبوت ،
قائلة :

- أين كنت حتى الآن ؟

(صلاح) :

- لا بد أن أمي قد أخبرتك .. لقد كنت أسهر مع مجموعة
من أصدقائي .

(نهى) :

- ولماذا لم تخبرني بذلك ؟

بدت عليه الحيرة ، وهو لا يدري ماذا يقول لها ، ثم
ما لبث أن هز كتفيه باستخفاف قائلاً :

***** ١٤ *****

- لم أجد أنه هناك ما يدعو إلى إخبارك بذلك .

ازدادت نظرة الحزن وضوحاً في عينيها ، وهي تقول :

- بالطبع .. ليس هناك ما يدعو إلى إخباري ، فماذا

أكون أنا بالنسبة لك ، حتى تخبرني بأمورك الشخصية .

ترك (صلاح) مقعده ، ليجلس إلى جوارها ، قائلاً :

- (نهى) .. ليس هناك ما يدعو إلى أن تغضبني مني

بسبب شيء كهذا .

(نهى) :

- ولكنني لست غاضبة .

ابتسم قائلاً ، وهو يحاول مداعبتها :

- ولكن ما أراه في عينيك يقول غير ذلك .

نظرت إليه بعينيها الحزینتين ، قائلة :

- كنت أعتقد أنني أكثر أهمية بالنسبة لك من هذا .

(صلاح) :

- إنك تهمني بالفعل ، وأنت تعرفين ذلك جيداً ، ولكن

هذا لا يعنى أنه لا بد أن أخبرك بكل خطوة أخطوها خارج

المنزل ، والوقت الذي سأقضيه في سهرة مفتوحة مع

أصدقائي ، خاصة وقد أخبرت أمي ، وظننت أنها لا بد قد

أخبرتكَ .

قالت وفي صوتها نبرة احتجاج :

***** ١٥ *****

- هل رأيت ؟ لقد اهتممت بإخبار خالتي أنك ستسهر في الخارج مع أصدقائك ، دون أن تهتم بإخباري ، ودون أن تكثر بي ؛ لأنني لا أمثل لك شيئا ذا قيمة .
(صلاح) :

- حسن .. سأخبرك بعد ذلك إذا ما اضطرتني الظروف للتأخر في الخارج .

تبذلت لهجتها ، لتبدو أكثر حنانا ، وهي تقول :
(صلاح) .. يجب أن تعرف أنني أقلق عليك ، ولا حيلة لي في ذلك .

ابتسم (صلاح) قائلا :
- لقد كنت أظن أنني سأقوم معك بدور الأب .. ولكن أنت تمارسين معي دور الأم ، ولو أن أمي لا تقلق على وتحاسبني على تأخيري في الخارج ، على هذا النحو الذي تفعلينه معي .
(نهى) :

- إذا كان هذا يضايقك فأنا آسفة ، ولن أحاول إظهار قلقي واهتمامي بك مرة أخرى .
اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- كلا إنه لا يضايقني على الإطلاق .. ومن ذا الذي يتبرم من اهتمام فتاة جميلة مثلك به ؟

تحولت إليه بنظراتها ، وقد بدا أن الكلمة الأخيرة قد حركت شيئا في مشاعرهما ، وقالت :
- حقا يا (صلاح) ؟ .. هل تراني جميلة ؟
قال مستغربا :

- وهل كنت تشكين في ذلك ؟
(نهى) :

- هل تقول ذلك لأنني ابنة خالتك ، ولأنك تسعى لتبديد أحزاني ؟
(صلاح) :

- أولا : لم يعد هناك مجال للأحزان ؛ فقد تجاوزناها وتغلبنا عليها ، وانت نفسك وافقتني على ذلك منذ يومين ، عندما خرجنا إلى مدينة الملاهي .

ثانيا : ليس لكونك ابنة خالتي أية علاقة لوصفك بالجمال ، فهذه حقيقة لا تحتاج إلى مجاملة ، وتستطيعين أن تسألي أي شخص عن ذلك ليقرر لها لك بنفسه ، ولو أنني لا أنصحك بذلك ، وإلا عاملتك بكل قسوة وشدة ، فأنا أغار عليك .

انفرجت أساريرها فجأة ، وهي تنظر إليه وفي عينيها مزيج من الدهشة والفرح ، قائلة :
- أهذا أيضا حقيقي يا (صلاح) ؟ .. هل تغار على ؟

تطلع إليها (صلاح) ، وفي عينيه شيء من الحيرة والاضطراب ، دون أن يجيبها ، ثم ما لبث أن قال ، محاولاً تغيير الموضوع :

- ما هذا ؟ .. هل سنظل نتحدث هنا ، دون أن نتناول طعامنا .. هيا .. هيا لنتناول العشاء مغا .

قفزت من الفراش جذلة ، قائلة :

- إذن سنتناول العشاء معي .. لم تطاوعك نفسك على أن تتناوله مع أصدقائك بالخارج دوني .. أليس كذلك ؟ وقف مضطرباً ، لا يدري بم يجيبها .. ففي الواقع أنه تناول العشاء مع أصدقائه ، قبل أن يأتي إلى المنزل ، ولكنه أراد أن يجاملها ، حتى تتناول العشاء الذي رفضته ، وإزاء سعادتها الطفولية بتلك المجاملة ، لم يعد أمامه مجال للتراجع ، وأصبح من المتعين عليه أن يشاركها العشاء ، فصحبها إلى خارج الغرفة ، قائلاً :

- نعم .. فقد تعودت على تناول عشاءي معك .. وعلى وجودك أمامي على المائدة .

وكانت في رأيه مجرد كذبة ..

كذبة بيضاء .

★ ★ ★

٢ - الحائر ..

كانت (نهى) سعيدة باصطحاب (صلاح) لها إلى السينما ، وعندما انتهى الفيلم غادرت دار العرض وهي متعلقة بذراعه كطفلة صغيرة ، وسألته قائلة ، وهو يعبر الطريق :

- أين تذهب ؟

(صلاح) :

- سنستقل السيارة ونعود إلى المنزل .

قالت ترجوه بدلال :

- مازال الوقت مبكراً .. دعنا نسر مغا قليلاً .

(صلاح) :

- حسن .. إذا كان لابد من التمشية ، فلنستقل سيارتي أولاً ، ونذهب بالقرب من الكورنيش ، إنها تمشي المفضلة .

وتوقف بسيارته بمحاذاة رصيف الكورنيش ، حيث غادرها وبصحبه (نهى) ، ليقطعا الطريق على قدميهما .

وقالت (نهى) ، وهي تتأمل منظر النيل :

- معك حق .. السير هنا ممتع .. إنه يذكرنى
بالكورنيش فى (الإسكندرية) ، حيث كنت أصحب أُمى ...
توقفت فجأة عن مواصلة السير والكلام ، عندما جاء
ذكر أمها .

لاحظ (صلاح) ذلك ، فبادرها قائلاً :

- فلنتوقف عن الذكريات ..

ثم أبدل الحديث ، وهو يلف ساعده حول كتفها النحيل ،
قائلاً :

- قولى لى : هل أعجبك الفيلم ؟

أجابته وهى تحاول إبعاد تلك النبيرة الحزينة عن
صوتها :

- كان فيلمًا جيدًا ، ولو أنى كنت أفضل فيلمًا
رومانسيًا .

(صلاح) :

- لقد فكرت أن فيلمًا كوميديًا سيكون الأنسب ، لـ ...

بتر جملته ، ولكنها أكملت لها قائلة :

- لحالتى النفسية .. أليس كذلك ؟

بادر بمعالجة الأمر مرة أخرى ، قائلاً :

- لقد مررنا جميعًا فى الفترة الأخيرة بشيء من الضغط

العصبى ، وليس هنا ما يمنع من البحث عن شيء من

***** ٢٠ *****

المرح ، مثل مشاهدة بعض الأفلام الكوميدية ، ثم إن
الأفلام الرومانسية تميل إلى المبالغة .
(نهى) :

- فيما يتعلق بالمشاعر والعواطف ، لا يمكنك أن
تتحدث عن المبالغة .

(صلاح) :

- هل تعنين أنه يمكن أن نجد فى الواقع ، أحداثًا شبيهة
بتلك التى وردت فى فيلم (لقاء فى الغروب) ؟

(نهى) :

- بل قد يوجد فى الواقع ما هو أكثر تجاوزًا وأشد
غرابة ، مما شاهدته فى ذلك الفيلم .

ابتسم قائلاً :

- يبدو أنك رومانسية .

نظرت إليه قائلة :

- وهل ترى فى ذلك عيبًا أم ميزة بالنسبة لى ؟

(صلاح) :

- الرومانسيون أشخاص رقيقو الحس ، مرهفو

المشاعر ، وهذا ما يجعلهم متميزين ، ولكنهم عرضة

أكثر من غيرهم للمتاعب النفسية والآلام ؛ بسبب

حساسيتهم المفرطة ، فكلنا نحب ونكره ونحزن ونسعد ،

***** ٢١ *****

باعتبارنا بشرا ، لنا أهواؤنا ومشاعرنا ، أما الشخص
الرومانسى فعيبه الوحيد أنه متطرف فى مشاعره
وأحاسيسه ، وهذا ما يجعله يبالغ فى أحزانه ، ويجسم
عواطفه ، مثلما حدث فى عاطفتك المفرطة تجاه أبويك ،
وتلك الآلام التى تعرضت لها عقب رحيلهما ، والتى أدت
بك إلى دخول المستشفى .

ابتسمت ابتسامة اغتصبتها على شفتيها ، وهى تقول :
- ألم نتفق على أننا سنتوقف عن حديث الذكريات ؟
ابتسم بدوره قائلا :
- معك حق .

(نهى) :

- ولكنك نسيت أن الرومانسيين أيضا لهم ميزتهم ؛
فبسبب عواطفهم المتطرفة يمكنهم أن يحيطوا من يحبونه
بحب وحنان ، لا يمكن أن يعرفه مع الآخرين .
(صلاح) :

- إننى أتفق معك فى ذلك ، فالمرء يحب دائما أن يحاط
بالكثير من الحب والحنان والاهتمام ، الذى توفره له تلك
العاطفة المتطرفة ، ولكن كلما زاد شيء عن الحد ، انقلب
إلى الضد .

(نهى) :

- إلا فى الحب ؛ فالمرء بحاجة دائمة إلى المزيد من
عواطف وأحاسيس محبيه .. بحاجة لأن يراها ماثلة أمامه
دائما .

(صلاح) :

- ولكن هذا النوع من الحب المتطرف قد يكون خانقا
فى بعض الأحيان لأحد الحبيبين .
رنت إليه بنظرة ذات دلالة ، وهى تقول :
- لو أننى مثلا وجدت نفسى أحبك حبا كبيرا ، فهل
ستعتبر ذلك الحب خانقا لك .

شعر بشيء من الارتباك ، إزاء هذا التلميح الواضح ،
ولكنها أنقذته من حرجه ، قائلة :

- هل تذكر يا (صلاح) عندما كنا أطفالا صغارا ؟ هل
تذكر الأوقات السعيدة التى كنا نقضيها على رمال شواطئ
(الإسكندرية) ؟
ابتسم قائلا :

- نعم .. وأذكر أيضا دلو الماء ، الذى كنت تلقينه فوق
رأسى من الخلف بغتة ، ثم تفرين هاربة .
ضحكت قائلة :

- أنت تعرف أننى كنت أحب مداعبتك ، ثم إننى كنت أرد

بذلك على مضايقتك لى ، عندما كنت تتعمد هدم البيوت
الرملية ، التى كنت أقيمها فوق الشاطىء .

نظر صلاح إلى النهر الممتد أمامه ، قائلا :
- كانت ذكريات سعيدة .

قالت (نهى) ، وهى تتطلع إلى النيل بدورها :
- نعم وكان أجمل ما فيها أن المرء كان يستطيع أن
يفعل ويقول كل ما يحلو له ، دون خوف أو حرج ، كما هو
الحال الآن .

التفت إليها (صلاح) مداعبا ، وهو يقول :
- لعلك لا تفكرين فى إلقاء دلو آخر من الماء فوق
رأسى .

ولكنها قالت بطريقة جادة ، وهى تنظر إليه نظرة
ساهرة :

- هل تذكر يا (صلاح) كيف كنت أبكى وأنتحب ، حينما
تنتهى العطلة ويحين موعد رحيلك إلى (القاهرة) ؟
(صلاح) :

- نعم .. وكنت أضطر إزاء بكانك المستمر هذا ، أن
أنفق كل مصروفي فى إحضار بعض الحلوى لك ، حتى
تتوقفين عن البكاء . وأحيانا كنت أضطر مرغما للبقاء يوما
أو يومين آخرين ، عل الرغم من اقتراب موعد الدراسة ،

ولكن حينما يحين موعد الرحيل ، تعودين إلى البكاء مرة
أخرى .

تأملته قائلة :

- كنت حنوننا دائما يا (صلاح) .

(صلاح) :

- ألسنت ابنة خالتى ؟

(نهى) :

- هل حنانك هذا سببه أننى ابنة خالتك فقط ؟

عاد صلاح للارتباك مرة أخرى ، ولكنه قال :

- أنت تعرفين جيدا مدى حبنى لك يا (نهى) .

قال بصوت متلهف :

- حقا يا (صلاح) .. أتحبنى حقا ؟

مسح صلاح بيده على جبهته ، قائلا :

- كأختى طبعاً .. فلقد تربينا معا .

تقلصت ملامحها ، وقد بدا أن ما قاله قد أغضبها ،

فأشاحت بوجهها عنه ، وواصلت السير وقد تركته واقفا

وحده ، واندفع ليمسك ذراعها ، قائلا :

- هل قلت شيئا أغضبك ؟

قالت وفى صوتها شيء من الاحتجاج والتردد :

ما أغضبنى هو ما لم تقله .

(صلاح) :

- وما الذى كنت تريد منى أن أقوله ؟

همت بأن تقول شيئاً ما ، ولكنها توقفت عن الكلام ،
وهى تهز رأسها ، قائلة :

- لا .. لا شيء .. لا شيء ..

بدا أن (صلاح) قد أدرك ما تريد منه قوله ، ولكنه لم
يجد ما يستطيع أن يرد به عليها ، فحتى هذه اللحظة لم
تكن مشاعره تجاهها تتجاوز مشاعر الود والأخوة ، وقال
لها متجاهلاً الموضوع برمته :

- أعتقد أنه يتعين علينا أن نعود إلى السيارة الآن .

قالت ، وهى تستدير عائدة :

- معك حق .. حتى لا يظن من يرانا أننا متحابان .

وعندما استقر إلى جوارها فى السيارة ، حانت منه
التفاتة إلى وجهها الغاضب ، قبل أن يدير المحرك متابعاً
طريقه ، وابتسم وهو ينظر إليها مجدداً ، قائلاً :

- إنك جميلة فى كل الحالات ، حتى وأنت غاضبة .

ولكنها حدجته بنظرة معاتبة ، ثم عادت تنظر إلى
الطريق أمامها ، وسألها والابتسامة مازالت مرتسمة على
وجهه :

- لو أعلم فقط لماذا أنت غاضبة هكذا ؟

***** ٢٦ *****

قالت دون أن تنظر إليه :

- ومن قال لك إننى غاضبة ؟

قال وقد اتسعت ابتسامته :

- لا تنسى أن الرومانسيين لا يستطيعون إخفاء
مشاعرهم ، فهى تبدو واضحة على وجوههم .

رنت إليه بنفس تلك النظرة المعاتبة ، قائلة :

- وهل الإحساس بالغضب هو فقط كل ما استطعت أن
تراه واضحاً على وجهى ؟

(صلاح) :

- لست أفهم ماذا تعنين ؟

(نهى) :

- مادمت تقول إن الرومانسيين تبدو مشاعرهم
واضحة على وجوههم ، فلا بد أنك قد فهمت ماذا أعنى .
كانت السيارة قد وصلت بهما إلى باب المنزل ، فأوقف
محركها ، وملامح الحيرة ترسم على وجهه ، فى حين
كانت هى تتفحصه بنظراتها ، والتفت إليها دون أن يفتح
باب السيارة ، قائلاً :

- (نهى) ..

انتظرت منه أن يقول شيئاً ، ولكنه ظل متردداً ، ثم
ما لبث أن تلثم فى كلماته ، قائلاً :

- إننى أريد أن أقول .. أعنى أننى أريد أن أوضح ..

***** ٢٧ *****

ولكنها قاطعته بغضب :

- لا تقل شيئاً ولا توضح شيئاً .. من الواضح أن
الإحساس الموجود لدى لا يجد صدق لديك .

(صلاح) :

- ليس هذا هو ما أعنيه على وجه التحديد ، ولكن ...

ولكنها هزت رأسها بعنف ، وهي تفتح باب السيارة
مقاطعة :

- أرجوك يا (صلاح) .. لا تحاول أن تبحث عن كلمات

مناسبة ، ولا تخرجني أكثر من هذا ، فقد قاومت خجلي ،
وتحاملت على كرامتي ؛ لكي أنقل إليك إحساسى ، ولكننى
لن أقبل أن أفرضه عليك بأى حال من الأحوال .

وسرعان ما فتحت باب السيارة ، وأسرعت تغادرها
وهي تركض فى اتجاه باب المنزل ، فى حين بقى (صلاح)
جالساً فى مكانه ، أمام عجلة القيادة لبرهة من الوقت ،
وقد تملكته حالة من الحيرة والضيق ، وعندما عاد إلى
المنزل استقبلته أمه قائلة :

- ماذا حدث يا بنى ؟ .. لماذا تبدو (نهى) متكدرة

هكذا ؟

قال (صلاح) ، وآثار الحيرة مازالت واضحة على

وجهه :

- لا أدري ماذا أقول لك يا أمى .. لقد دأبت (نهى) فى

الفترة الأخيرة على التلميح لى ببعض المشاعر العاطفية ،
ويبدو أن اهتمامى الزائد بها ، منذ خروجها من
المستشفى ، ومحاولتى مساعدتها على التغلب على
أزمته النفسية ، هو الذى حرك لديها هذه المشاعر
الوهمية ، وجعلها تعتقد أنها تحبنى .

قالت الأم ، وهي تقترب منه هامسة :

- ولماذا تسميها مشاعر وهمية ؟ .. أنت تعرف أن

(نهى) متعلقة بك منذ الصغر ، وأنت أيضاً كنت شديد
التعلق بها ، وكنا دائماً نرُدُّ أنا والمرحومة خالتك ، أن كلا
منكما لن يكون إلا للآخر ، وأنا نفسى حدثتك عن ذلك كثيراً
قبل وفاة خالتك ، ولكنك كنت تتهرب دائماً من إعطائى رداً
حاسماً ، على الرغم من أنك لم ترفض الفكرة تماماً .

استرخى (صلاح) فوق مقعده ، قائلاً :

- وما زلت عاجزاً عن الرد يا أمى .. هناك شىء يربط

بينى وبين (نهى) لا أنكره ، ولكنه لا يمكن أن يكون حباً ،
فالحب له مظاهر أخرى ، ولو كان حباً حقيقياً لأحسسته ،
ولما شعرت بكل هذه الأحاسيس المضطربة الحائرة .

قالت الأم :

- الاضطراب والحيرة دليل على أنك لم تحسم الأمر مع

مشاعرك تمامًا ، وهذا يعنى أن قلبك لم يغلق الباب فى وجه (نهى) تمامًا .. لماذا لا تمنحها وتمنح نفسك فرصة ، ربما عرف حبها طريقه إلى قلبك ؟ .. ليتها تصبح من نصيبك يا (صلاح) ، فطالما تمنيت ذلك أنا والمرحومة خالتك .. (نهى) فتاة طيبة للغاية ، وتتمتع بالكثير من المزايا ، وبغض النظر عن كونها ابنة أختى وبمثابة ابنتى ، فأنا لا أجد لك فتاة أفضل منها ، فضلاً عن أنها تحبك حقيقة .

قال (صلاح) ، ومشاعر الحيرة مازالت واضحة فى صوته :

- مازلت غير واثق من حقيقة هذا الحب ، وغير قادر على الحكم على حقيقة مشاعرى ومشاعرها .
عادت تقول :

- قلت لك : امنحها وامنح نفسك فرصة للتأكد من ذلك .
(صلاح) :

- هذا يعنى أن أتجاوب معها ، وأن أبادلها أو أظهار بمبادلتها بعض مشاعرها .. أليس كذلك ؟ .. ولكن ماذا ستكون النتيجة ، لو تأكدت فى النهاية من أنى لا أبادلها مشاعرها ، وكانت هى قد تعادت فى عاطفتها ؟ .. هنا تكمن المشكلة يا أمى .

***** ٣٠ *****

سألته الأم قائلة :

- أية مشكلة .. فى هذه الحالة سيتعين على كل منكما أن يختار طريقه .

هز رأسه نفياً ، وقال :

- كلا يا أمى .. ليس بالنسبة لها .. (نهى) فتاة حساسة للغاية ، وأنت تعرفين ذلك أكثر منى ، وتعلقها الزائد بى ، وتشجيعى لها على التماذى فى عواطفها نحوى ، من الممكن أن ينقلب فى النهاية إلى صدمة جديدة ، لورفضت هذا الحب ، وأعلنت لها اعتذارى عنه . ونظر إلى أمه ملياً ، قائلاً :

- هل فهمتينى يا أمى ؟

تطلعت إليه الأم بقلق ، وقد بدأت تحس بجسامة الموقف ، قائلة :

- نعم .. أفهمك يا بنى .. هذا من الممكن أن يلحق ضرراً بالغاً ب (نهى) ، مع حالتها النفسية التى تمر بها الآن .

(صلاح) :

- وسواء كنت أحب (نهى) أو لا أحبها ، فإن لها دائماً مكان فى قلبى ، وأشعر بإعزاز بالغ لها ، يجعلنى لا أتصور للحظة واحدة أن أكون مصدر تعاسة وألم بالنسبة لها ، وهذا ما يجعلنى أخاف من التجاوب مع

***** ٣١ *****

مشاعرها ، وأخشى حتى أن أمنح نفسي فرصة لمثل هذا
التجاوب ، حتى لا تكون النتيجة فى النهاية على حساب
أحدنا ، فلو وجدت نفسي عاجزا عن حبها حبا حقيقيا ، فى
حين اندفعت هى فى اتجاه هذا الحب ، فالأمر سينتهى بأحد
أمرين ، إما أن أصرح لها بذلك ، فأصدمها .. صدمة قد
تقضى عليها فى النهاية ، أو أخفى مشاعرى هذه
وأزوجها ، على الرغم من عدم وجود هذا الحب ، فأظلم
نفسى وأظلمها معى .

قالت الأم مطرقة :

- معك حق يا بنى .

وعاد (صلاح) يقول :

- المشكلة أيضا هى أن تجاهلى لمشاعرها يجرحها ،
وأخشى أن يودى هذا إلى التأثير على حالتها النفسية
المضطربة ، خاصة وقد نصحنى الطبيب المعالج بمراعاة
حالتها هذه مراعاة تامة ، والحيلولة بينها وبين التعرض
لما يمكن أن يؤثر على مشاعرها .

نظرت إليه الأم قائلة بحسم :

- يجب أن تسافر يا (صلاح) ، وبأسرع وقت ، فهذا

هو الحل الوحيد قبل أن يستفحل الأمر .

سافر يا (صلاح) .. سافر .

★ ★ ★

***** ٣٢ *****

٣ - سأحبك دائما ..

كانت (نهى) مستغرقة فى قراءة الرواية التى بين
يديها ، عندما أحست بلمس زهرة القرنفل تداعب
وجنتيها ، فالتفتت على الفور ، وهى تهتف باسمه قائلة :

- (صلاح) :

ابتسم لها قائلا :

- أما زلت غاضبة منى ؟

سرعان ما ابتلعت لهفتها وهى تقول :

- لماذا لم تخبرنى أنك ستعود إلى عملك اليوم ؟

(صلاح) :

- ظننت أنك تعرفين .. لقد انتهت إجازتى أمس ،
وأعتقد أن ابتعادى عن العمل لعشرين يوما كاملة .. تعد
فترة كافية للغاية .

قالت وكأنها تعتذر :

- لقد أضععتها كلها فى مرافقتى ، ومحاولة التخفيف

عنى ، ومساعدتى على التغلب على حالتى النفسية .

ابتسم لها قائلا ، وهو يدنو منها :

***** ٣٣ *****

(٣ - زهور (٤٧) رجل وقلبان)

- ولماذا تقولين إنها ضاعت ؟ .. على العكس .. لقد كانت إجازة ممتعة للغاية ، فمن ذا الذى لا يستمتع بإجازة يقضيها برفقة حسناء مثلك .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، قائلة :

- يا لك من مجامل ! .. ثم تطلعت إليه بنظرة تتم عن عاطفة متدفقة ، مستطردة :

- وابن خالة طيب .

سادت بينهما برهة من الصمت ، قبل أن تقول مردفة :

- أرجو ألا أكون أنا التى أغضبتك .

مد يده ليرفع خصلات شعرها المتهدلة عن جبينها ، قائلاً :

- أنا لا أستطيع أن أغضب منك يا (نهى) .

قالت دون أن ترفع عينيها عن وجهه ، وما يزال ذلك التدفق العاطفى يشع منها :

- حقيقى يا (صلاح) .

قال وما زالت تلك الابتسامة الجذابة مرتسمة على وجهه :

- وهل أنا بحاجة لكى أؤكد لك ذلك ؟

نهضت من مقعدها ، لتقترب من النافذة التى تتوسط الردهة ، قائلة وهى تنظر من خلالها ، وكأنها تخشى أن

***** ٣٤ *****

تلتقى نظراتها بنظراته هذه المرة :

- لقد أحسست فى الفترة الأخيرة أننى أفرض نفسى ومشاعرى عليك ، بصورة لا تحتمل ، كما أحسست أننى أسبب لك بذلك شيئاً من المعاناة ؛ فأنت من جهة لا تريد أن تتسبب فى إيذاء مشاعرى ، ومن جهة أخرى تشعر بالذنب لأنك لا تستطيع أن تبادلى هذه المشاعر ، وأنا أعترف بأننى كنت سخيفة ومتطفلة للغاية عليك ، وأنه لا ذنب لك .. إنك ...

قاطعها (صلاح) ، قائلاً :

- (نهى) .. لماذا لا تتوقفين عن مثل هذا الحديث ؟

هزت رأسها ، قائلة :

- أنا أعرف .. أعرف أننى أثقل عليك ، وأن مثل هذا

الحديث ...

عاد يقاطعها مرة أخرى :

- لا أقصد هذا ، ولكننى أريد أن أقول ...

توقفت الكلمات فى حلقه ، وقد شعر بالعجز عن

التعبير ، فى حين تفحصته هى بنظراتها قائلة :

- هأنذا قد عدت لإحراجك وإحراج نفسى أيضاً .. حسن

دعنا من هذا الحديث ، وقل لى : كيف قضيت يومك فى

العمل ، بعد عودتك من الإجازة ؟

***** ٣٥ *****

ادار ظهره لها ، قائلا :

- (نهى) .. لقد نقلت للعمل خارج (القاهرة) .
شعرت بغصة فى حلقها ، لدى سماعها ذلك ، فقالت
بصوت مضطرب :

- هل يعنى هذا أنك ستقيم خارج (القاهرة) ؟
التفت إليها قائلا :
- نعم .

بدت كما لو كانت تهذى ، وهى تردّد :

- ولكن .. هذا يعنى .. يعنى .. يعنى أنك ستبتعد
عنى ، ولن أتمكن من رؤيتك كل يوم ، على النحو الذى كنا
عليه من قبل ؟

اقترب منها وهو يبتسم ، محاولا التخفيف عنها ،
ليقول :

- الأمر لا يستحق منك كل هذا الانفعال ، فلن أغادر
(مصر) .. ستكون هناك إجازات أسبوعية وسنوية ..
ولكنها تخولت إليه ، وفى عينيها نظرة أسى ، قائلة :
- كيف طاوعك قلبك على أن تفعل ذلك ؟

(صلاح) :

- (نهى) .. ما الذى فعلته ؟ .. إننى أعمل فى
الجمارك ، وأنت تعرفين أن طبيعة عملى تقتضى منى أن
أنتقل للعمل فى أماكن مختلفة داخل الجمهورية .

***** ٣٦ *****

احتدت قائلة :

- إنك تنتظر للأمر هكذا بمنتهى البساطة .. تجعلنى
أتعلق بك ، وأعتاد على وجودك إلى جوارى ، وفجأة
تخبرنى أنك سترحل عنى ، وتتركنى وأنا أحوج ما أكون
إليك ، ثم تقول لى بمنتهى الاستخفاف والبساطة : إن
ظروف عملك تقتضى ذلك ! .. ولماذا لم يفكروا فى نقلك
خارج (القاهرة) إلا الآن ؟

ونظرت إليه ، وفى عينيها نظرة ارتياب ، قائلة :

- ولماذا لا تكون أنت الذى طلبت منهم نقلك ؟

ثم أردفت وكأنها ترد على نفسها :

- نعم .. لتهرب منى .. هل أثقل عليك إلى هذه
الدرجة ؟

همس قائلا :

- (نهى) .

ولكنها استمرت فى حديثها ، الذى أصبح أشبه
بالهذيان ، قائلة :

- إنك تريد أن تبتعد عنى يا (صلاح) .. لقد وجدت أن
هذا هو الحل الوحيد ، الذى يحررك من هذا العبء .

(صلاح) :

- (نهى) .. ماذا تقولين ؟

***** ٣٧ *****

ولكنها أكملت وكأنها لا تسمعه :

- ولكننى لا أحتمل فكرة ابتعادك عنى .

ثم نظرت إليه ، قائلة بتوسل :

- أرجوك يا (صلاح) .. أرجوك ابق إلى جانبى ، ولا

تتخل عنى .. ابق إلى جوارى ، ولن أثقل عليك بمشاعرى

وأحاسيسى .. أعدك بذلك .. فقط ابق إلى جوارى ، ولا

تتركنى .

حذق (صلاح) فى وجهها ، وقد راعه أن يكون تأثيره

عليها قد وصل إلى هذا الحد .. لقد تحولت مشاعرها نحوه

إلى حالة مرضية ..

وأحاط كتفيها بساعديه ، ليساعدها على الجلوس فوق

الأريكة ، مهدئا من خواطرها ، وهو يقول بصوت خافت :

- (نهى) .. أرجوك أنت اهدنى واسمعينى .. إننى

لا أحاول الهروب منك أو الابتعاد عنك كما تقولين ، فأنت

ابنة خالتى العزيزة ، ولك مكانة كبيرة فى قلبى .. إننى

أسعد حقيقة لوجودى إلى جوارك ، ولا أحب أن أبتعد

عنك ، ولكن ظروف عملى هى التى تقتضى منى ذلك .. إن

مفتش الجمارك يتنقل دائما بين الموانئ والمطارات

المختلفة ، ولكن هذا لا يعنى أننا سنبتعد عن بعضنا كلية ،

فكما قلت لك ، ستكون هناك إجازات أسبوعية وسنوية ،

***** ٣٨ *****

كما أنه يمكنك أن تحضرى مع أمى إلى البلدة التى انتقلت إليها ، لقضاء بضعة أيام معى ، خاصة وأن هذه البلدة ليست غريبة عليك ، بل إنك تربيت وعشت فيها سنوات عمرك كلها .

وابتسم قائلاً :

- أعتقد أنك عرفتها الآن .. (الإسكندرية) .. سأعمل

فى ميناء (الإسكندرية) .. أليس هذا شيئا رائعا ؟ .. إنها

المدينة التى قضينا فيها أحلى سنوات طفولتنا وصبا .

قالت ساهمة :

- والتى فقدت فيها أعز الناس لدى .

قال محاولاً التخفيف عنها :

- هل تذكرين مداعبات الشاطيء ، والساعات الطويلة

التى كنا نقضيها فى البحر ، نصارع أمواجه المتلاطمة ،

ونلهو ونمرح .

ولكنها تجاهلت محاولته ، قائلة :

- إذن فقد عقدت العزم على أن تسافر وتقيم هناك .

قال بصوت حنون :

- أرجو أن تتفهمنى الظروف التى تضطرنى لذلك .

تطلعت إليه فى رجاء ، قائلة :

- إذن .. خذنى معك .

***** ٣٩ *****

نظر إليها (صلاح) فى دهشة ، قائلاً :

- ماذا تقولين يا (نهى) ؟ .. كيف يمكننى أن آخذك لتقيمى معى ؟ إنه وضع غير مقبول بالطبع .

قالت فى إلحاح :

- أذهب معك أنا وخالتى ، فلا حاجة لوجودنا هنا بعد رحيلك .. يمكننا أن نقيم فى منزلنا فى (الإسكندرية) .. الشقة خالية الآن ، و ...

قاطعتها (صلاح) :

- الشقة استردها المالك ، وأنت تعرفين ذلك ، ثم أن أمى لا تستطيع أن تفارق (القاهرة) ، خاصة وأنها مريضة بالروماتيزم ، ومرضها هذا يحول بينها وبين الإقامة فى مناخ رطب ، ولا تنسى أننا قد حولنا أوراقك إلى الجامعة هنا ، ولم يعد أمامك سوى هذا العام لتحصل على (البكالوريوس) .

(نهى) :

- أنت تعرف جيداً أننى لن أدخل الامتحان هذا العام . قال وقد بدأ يشعر بالضيق :

- فليكن .. ولكن أوراقك قد حولت إلى جامعة (القاهرة) ، وستبقين هنا فى (القاهرة) ، ولن تذهبي إلى أى مكان آخر ، ويكفى هذا يا (نهى) فقد تعبت .

***** ٤ *****

نظرت إليه بعينين مغرورتين بالدموع ، قائلة :

- أنا أسفة .. لقد نسيت نفسى مرة أخرى .

وهمت بمغادرة الردهة ، ولكنه أمسك بمعصمها ،

قائلاً :

- انتظرى .

ثم أطلق زفرة قصيرة ، قائلاً :

- أنا الذى يتعين على أن أتأسف لك .

قالت وهى تحاول أن تجذب معصمها من يده :

- ولماذا تتأسف ؟ .. إننى أعترف بأننى أحملك فوق

ما تحتمل ، ولا أدري كيف أفعل ذلك ، إننى ألوم نفسى كل

مرة على فعله ، لا أدري لماذا أسمح لنفسى باقتحام عملك

وحياتك الشخصية على هذا النحو ؟

حاول أن يرسم ابتسامة على وجهه ، قائلاً :

- لك بعض الحق فى ذلك بالطبع ، فأنت ابنة خالتى ،

وصديقة عزيزة على نفسى .

نظرت إليه وفى عينيها نظرة تنم عن خيبة الأمل ،

مرئدة :

- ابنة خالتك وصديقتك العزيزة .

ثم تنهدت قائلة :

- أحياناً يصور لى الوهم أنه يمكن أن يكون بيننا ما هو

***** ٤١ *****

أكثر من ذلك ، وهذا الوهم الكاذب هو الذى يدفعنى إلى ارتكاب تلك الحماقات معك ، ويجعلنى أعطى نفسى حقاً أكثر مما هو لى .

تناول (صلاح) يدها الصغيرة بين راحتيه ، قائلاً :
- إنك حساسة أكثر من اللازم يا (نهى) ، وهذه مشكلتك الحقيقية .

ولكنها جذبت يدها من بين يديه فى رفق ، قائلة :
- حسن يا (صلاح) .. سافر إلى عملك ، ولا تشغل نفسك بى .

همس قائلاً :
- لا أريد أن أسافر وأنت غاضبة منى .
هزت كتفيها وهى تتظاهر باللامبالاة ، قائلة :
- لست غاضبة .

(صلاح) :
- ولكن ...
قاطعت قائلة :
- صدقنى .. لست غاضبة .. إننى أندفع أحياناً ، وأرتكب بعض الحماقات ، ولكن عذرى فى ذلك أننى .. أننى ...

وبدا كما لو أنها تحول بينها وبين لسانها حتى لا تنطق

***** ٤٢ *****

تلك الكلمة ، التى يريد أن يعبر عنها قلبها ، فقالت وقد استبدلتها بعبارة أخرى :

- ولكننى أعود فأعرف أننى لست أكثر من فتاة حمقاء طائشة ، وأنت كنت محقاً تماماً فى قولك وتصرفك .
نظر إليها (صلاح) متأثراً ، ثم عاد ليتناول يدها بين يديه ، قائلاً :

- لن أسافر إلى عملى قبل يومين ، وخلال هذين اليومين سنقضى الكثير من الوقت معاً ، وسنذهب معاً إلى الكثير من الأماكن الجميلة .

لم تتمالك نفسها ، فألقت رأسها فوق كتفه ، وهى تبكى قائلة :
- لا تتخل عنى يا (صلاح) ، فلم يعد لى فى هذه الدنيا سواك .

تردد قليلاً ، قبل أن يمسح بيده على شعرها المتهدل فوق كتفيها ، قائلاً ونظرة قلق تطل من عينيه :
- لن أتخلى عنك أبداً يا (نهى) .. أعدك بذلك .
وفى نهاية الردهة وقفت أمه تنظر إليهما ، وفى عينيها نظرة أكثر قلقاً ..
أكثر بكثير ..

★ ★ ★

***** ٤٣ *****

حاول (صلاح) في اليومين التاليين أن يعوض (نهى) عن الأثر الذي خلفه قراره بالإقامة في (الإسكندرية) ، وبذل كل جهده لإسعادها ، وإدخال البهجة على نفسها ، بالذهاب إلى أماكن كثيرة ومتنوعة ، وقضى معها معظم ساعات اليوم ، وأحست (نهى) بالجهد الكبير الذي يبذله (صلاح) لإسعادها ، فتظاهرت أمامه بالمرح والسعادة ، حتى لا تشعره بخيبة أمل ، وإن كانت قد فشلت في الاستمرار بالتظاهر ، في تلك اللحظات التي كانت تتصوره فيها بعيداً عنها ، فلم تكن تقوى على مغالبة مسحة الحزن والأسى ، التي ترسم على ملامحها ، كلما جال ذلك بخاطرهما ، وعلى الرغم من الشمس الدافئة ، وروعة المكان في تلك المنطقة المحيطة بالأهرام ، إلا أنها عجزت عن التجاوب مع جمال الطبيعة وعبق الماضي حولها ، كما يفعل أولئك السانحون ، الذين يتنقلون في المكان مستمتعين بكل جزء فيه .

واقترب منها (صلاح) ، قائلاً :

- فيم تفكرين ؟

وعلى الفور افتعلت ابتسامة ، وهي تهز كتفيها قائلة :

- لا شيء .. لقد سرحت قليلاً .

ضحك قائلاً :

***** ٤٤ *****

- هل كنت تفكرين في خوfo ؟

حاولت أن تبادلله مزاحه ، فعجزت عن ذلك ، وعلى الفور جذبها من يدها ، قائلاً :

- هيا بنا .

وجدت نفسها تجري في أثره ، وهو يجذبها من يدها ، فسألته قائلة :

- إلى أين ؟

(صلاح) :

- سنمتطي أحد الجمال .

وللمرة الأولى وجدت نفسها تضحك ضحكة غير ذات معنى ، قائلة :

- هل أنت مجنون ؟

قال دون أن يتوقف عن الركض ، متجهاً إلى أحد أصحاب الجمال :

- وهل كل أولئك الأشخاص ، الذين يمتطون الجمال مجانيين ؟

أصرت على التوقف ، قائلة وهي تلهث :

- ولكن ما الذي جعلك تفكر في ذلك ؟

ابتسم قائلاً :

- وما الذي يمنعني من التفكير في ذلك ؟ .. لقد خطر

***** ٤٥ *****

فى ذهنى فجأة أن أمتطى أحد الجمال ، كما يفعل هؤلاء
السائحون ، وأن تشاركينى ذلك ، وأنا مصر على تحقيق
هذا الخاطر .

نظرت إليه ملياً ، قائلة :

- ليتنى كنت مثلك ، قادرة على تحقيق كل ما أتمناه
بمثل هذه السهولة .

استأجر (صلاح) أحد الجمال من صاحبه ، وامتطاه بعد
أن أجلس (نهى) خلفه ، وأخذ يقود الجمل ، الذى ظل
يتهاوى بهما فوق الرمال ، فى خطوات متأنية ، وبينما
كان سعيداً بتحقيق خاطره الطفولى ، كانت (نهى) سعيدة
بجلوسها قريبة منه إلى هذا الحد ، حيث يمكنها أن تريح
رأسها على ظهره ، وأن تلمس يديها النحيلتين كتفيه
العريضتين ، وأحست أنه ملك لها وحدها ، فى هذه
اللحظة ، وتملكها شعور غريب بأنه لا يوجد سواهما فى
هذه الصحراء ، غير تلك الأحجار التى تتشكل منها
الأهرامات الثلاثة ، وبدا لها ذلك الجمل الذى يمتطيانه ،
وكأنه محمل بهودج ينقلهما إلى عش الزوجية السعيد ،
وندت عنها أوه صغيرة ، فقد تمننت فى هذه اللحظة أن
تكون المسافة بين قلوبهما أقصر من المسافة بين
جسديهما المتلاصقين ، وسألها قائلاً :

***** ٤٦ *****

- (نهى) .. هل أنت سعيدة ؟

لم تقو على مقاومة نفسها أكثر من ذلك ، فأحاطت
صدره بساعديها من الخلف ، وهى تريح رأسها على
ظهره ، قائلة بصوت حالم :

- سعيدة للغاية .. سعيدة إلى درجة أننى لا أريد لهذه
اللحظة أن تنتهى أبداً .

وفى نهاية اليوم ، وقف (صلاح) يتأملها ملياً ، وهو
يقول لنفسه :

- ولم لا .. (نهى) ابنة خالتك ، وهى فتاة جميلة ،
تمتلئ بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة ، وهى صديقة
طفولتك وصباك ، وأقرب إنسانة إلى قلبك ، وفوق كل ذلك
فهى تحبك .. بل إنها تحبك حباً جنونياً ، كما يبدو واضحاً
فى عينيها وتصرفاتها ، وفى كل لمسة من جوارحها ، ألا
يكفيك كل هذا ، لكى تحبها وتختارها زوجة لك ؟

ولم يستطع أن يحصل على إجابة حاسمة يريح بها
نفسه ، فتوقف عن الاستغراق فى تفكيره متمتماً :

- ربما ساعدنى ابتعادى عنها ، فى الحصول على تلك
الإجابة .. نعم إننى بحاجة إلى بعض الوقت ، حتى أحصل
على رد حاسم على تساؤلى هذا .
سألته قائلة :

***** ٤٧ *****

- فيم تفكر ؟

ابتسم قائلاً ، وهو يمسح على شعرها :

- ستوحشينني يا (نهى) .

انفجرت أساريرها ، قائلة :

- حقاً يا (صلاح) ؟ .. هل ستفتقدني حقاً ؟ .. أعني

هل ستفتقدني باعتباري ابنة خالتك وصديقتك المقربة ، أم

باعتباري .. باعتباري ...

ولم تقو على إتمام عبارتها ، فقال لها :

- أعرف جيداً ماذا تريدان ؟ من يدري يا (نهى) ..

ربما كان شعوري على هذا النحو الذي توقفت عن البوح

به ، وربما جاء فراقنا لفترة من الوقت كاشفاً عن حقيقة

مشاعر ، كانت خافية عن نفسي ، على النحو الذي لم

أدركه وأنا قريب منك .

(نهى) :

- إنني سأعيش على ذلك الأمل .

(صلاح) :

- وأنا لا أنصحك بأن تفرطي في الأمل ، فربما كشف

لك فراقنا أنت أيضاً عن أن مشاعر الحب الدافقة ، التي

تحسينها نحوى ، لم تكن أكثر من وهم ، وأن السبب

الحقيقي في اندفاعك وراء هذه المشاعر ، يكمن في تلك

الظروف النفسية ، التي تعرضت لها أخيراً ، وذلك
الإحساس بالوحدة والفراغ ، الذي حتم أن أكون قريباً منك
للمغاية . وأن أساعدك على تجاوز هذه المحنة ، ومن
يدري ، ربما ساعدك فراقى على الالتقاء بشخص آخر ،
في ظروف طبيعية أكثر ، يجعلك تحببته حباً حقيقياً ،
ينسيك (صلاح) ، ويجعلك تتذكرين مشاعرك هذه الآن
بكثير من الدهشة والاستغراب .

تقلصت ملامح وجهها ، وهي تقول :

- (صلاح) .. لا تقل مثل هذه الكلمات ، فحبي لك أكبر

بكثير من استخفافك بمشاعري على هذا النحو .

(صلاح) :

- إنني لا أقول شيئاً .. إنني أريد أن أحررك وأحرر

نفسى من أى قيد يربط أحدنا بالآخر .. أريد أن يمنح كل منا

الآخر فرصة حقيقية لاختبار مشاعره ، دون إلزام ،

أو شعور بالذنب ، ودون الوقوع تحت تأثير مشاعر قد

تكون خادعة ، وفي النهاية سيكون حكمنا على مشاعرنا

أكثر دقة وقوة ، هل تعديننى بذلك يا (نهى) ؟

(نهى) :

- لن أعدك سوى بشيء واحد وهو أنني لن أتوقف عن

حبك أبداً .. أبداً يا (صلاح) .

★ ★ ★

٤ - حورية على الشاطئ ..

استطاع (صلاح) بعد مرور عشرين يوما ، منذ استقراره في (الإسكندرية) ، أن يتخلص من حيرته ، التي لازمته في الفترة الأخيرة ، وأن يحسم الأمر مع نفسه ، فالأيام التي باعدت بينه وبين (نهي) ، عالجت ذلك التشويش الذي سيطر على مشاعره ، وألقى على ضميره بأحمال ثقيلة ؛ فقد تأكدت لديه تلك الحقيقة ، التي استقرت في نفسه من قبل ، وهي أن علاقتهما لم تكن ، ولن تكون هي تلك العلاقة العاطفية ، التي تصل إلى مرتبة الحب ، بكل ما يحمله من معان وأحاسيس .. تلك الأحاسيس والمعاني ، التي لا تغفلها القلوب ، ولا تضل عنها المشاعر .. إن ما يربطه ب (نهي) حقيقة ، هو علاقة إعزاز قوية ، تشعره دائما بالمسئولية نحوها ، وتحفظ لها مكانة كبيرة في قلبه ، ولكنها مكانة لا تتخطى تلك الحدود ، التي يرسمها القلب بين الإعزاز والحب .. وأحسن (صلاح) بارتياح كبير لهذه النتيجة ، كما أحس بتحرر من تلك المشاعر المذبذبة ، التي ظلت تتنازعه

أخيرا .. لقد أدرك الآن أن نصيحة أمه له بالسفر كانت نصيحة قيمة للغاية ، وكانت في صالح الجميع ، ولكن المشكلة الحقيقية التي ما تزال قائمة أمامه ، هي مشاعر (نهي) نحوه .. إنها تتصل به تليفونيا يوميا تقريبا ، كما أنها ، في إجازته الأخيرة إلى (القاهرة) ، بدت وكأن مشاعرها لم تنقص ذرة واحدة ، عن ذلك اليوم الذي رحل فيه عنها .. لقد توقفت عن التعبير عن تلك المشاعر ، وأصبحت أكثر حرصا في إبداء عواطفها نحوه بصورة صريحة ، ربما لأنها وعدته بذلك ، وربما حرصا على كرامتها ، خاصة وأنها لم تر منه ما يشير إلى تبدل مشاعره نحوها ، ولكن كل شيء كان يبدو واضحا في عينيها ، وفي لهفتها عليه ، وفي كل لفظة تبديها نحوه ، ولكن (صلاح) كان قد قرر أن يحرر نفسه تماما ، من تلك القيود التي تقيدته في علاقته بها ، وأن يتحرر حتى من إحساس بالذنب لا مبرر له ، فهو موقن من أنه لا يكن ل (نهي) عاطفة حب حقيقية ، ولا يستطيع أن يخدعها ويخدع نفسه ، بمشاعر غير موجودة ، لمجرد الحرص على مشاعرها ، ومراعاة لحالتها النفسية ، فلا يوجد ما هو أسوأ من الخداع ، وخاصة خداع القلب ، والكذب على المشاعر ، وبهذه النتيجة التي انتهت إليها ، كان

ضميره مستريخا تمامًا ، ولم يعد متبقيًا أمامه سوى أن يجعل (نهى) تتقبل هذه الحقيقة أيضًا ، دون أن يجرح إحساسها ، ودون أن يقطع ما بينه وبينها من إعزاز ، لن تغير منه هذه الحقيقة شيئًا ، وتمنى من الله أن تجد (نهى) ذلك الإنسان ، الذى يستطيع أن يبدل مشاعرها نحوه ، ويخفف من أثر هذه النتيجة عليها ، لكى يمر الأمر دون جراح أو ألم ، وحتى يحدث هذا ، عليه أن يراعى التخلص من عاطفتها المشبوبة نحوه تدريجيًا ، وبلا صدمات ..

واسترخى (صلاح) فوق مقعده المواجه للشاطيء مباشرة ، بعد يوم عمل شاق ، وقد أطبق جفنيه مستسلمًا للنوم ، تحت المظلة التى يجلس تحتها ، وإلى جواره كانت هناك فتاة وشاب من المصطافين ، يقضيان يومهما على الشاطيء فى مرح ولهو ، وأرادت الفتاة أن تمزح مع الشاب ، فألقت إليه بكرة بلاستيكية ، لم يكد يمسكها حتى انكمشت فى يده ، محدثة صوتًا أشبه بنقيق الضفادع ، مما أثار اضطراب الفتى ، وضحكت الفتاة لما ألحقته بصديقها من فزع ، وما لبثت أن غادرت مقعدها وهى تتراجع إلى الوراء ، دون أن تتوقف عن الضحك ، عندما رأت فى عينيه نظرة غيظ ورغبة فى الانتقام ، ثم فتح الفتى حقيبة الجلدية ، التى وضعها على الرمال إلى

جواره ، ليخرج منها حوضًا زجاجيًا صغيرًا يمتلىء بالماء ، حيث نزع غطاءه ، وتناول من داخله قرموطًا من السمك ، تأهبًا لإلقائه على الفتاة ، ونظرت إليه الفتاة فى خوف ، قائلة :

- كلا .. إلا هذا .. لا مزاح باستخدام هذه الأشياء ، فأنت تعرف الخوف الذى يعترينى منها .
ولكنه قال ، وهو ينهض من مقعده مبتسمًا :
- إنك تستحقين مثل هذا العقاب .

أسلمت الفتاة ساقىها للرياح ، فى اللحظة التى ألقى فيها الشاب قرموط السمك فى اتجاهها ، وأخطأت السمكة طريقها إلى الفتاة ، لتسقط فوق قدمى (صلاح) ، الذى شعر بلمسها الناعم فوق ساقيه ، وهى تتلوى يمينًا ويسارًا ، فهب من رقاده فزعًا ، ليرى ذلك الشيء وهو يتحرك فوق فخذه ، وجعلته المفاجأة يفقد توازنه سريعًا ، خاصة عندما حالت آثار النوم الذى كانت ماتزال واضحة على وجهه وعينيه دون تمييزه ، فتركه مذعورًا ليسقط على فخذه مرة أخرى ، وحاول أن ينفذه عنه ، فاختل توازنه ، وسقط من فوق مقعده على الرمال ، إلى جوار قرموط السمك ، وأصبح المشهد كله مثيرًا للضحك والسخرية ، واستطاع (صلاح) أن يميز ضحكة أنثوية

عالية إلى جواره ، فاكتسى وجهه بقناع من الغضب ، وقد ظن أن صاحبة هذ الضحكة هي التي تسببت فيما حدث له ، فالتفت إليها بعينين تقدحان شررا ، وهو ما يزال مسجى فوق الرمال ، وكانت الفتاة مستغرقة في الضحك ، وهي تنظر في اتجاهه ، على نحو يحول دون سيطرتها على نفسها ، ولكنها عندما رأت عينية الغاضبتين ، وهو ينظر في اتجاهها ، أحجمت عن الضحك ، ووضعت إحدى يديها على فمها ، حتى لا تفلت منها إحدى تلك الضحكات التي كتمتها ، في حين أشارت له بإصبعها إشارة تفيد بأنه لا ذنب لها فيما حدث له ، وفجأة اقترب الشاب الذي ألقى بقرموط السمك من (صلاح) ، ليتناول القرموط ، الذي ما يزال يتلاعب بجسده فوق الرمال ، ويضعه داخل حوض السمك ، وهو يعتذر له قائلا :

- آسف .. لقد سقط هذا القرموط فوقك بطريق الخطأ ، ولم تكن أنت الشخص المقصود .. ثم انصرف في هدوء ، وقد لحقت به فتاته التي أخذ يعاتبها على ما تسببت فيه ، دون أن يعود أحدهما فيلتفت إلى (صلاح) ، الذي تحولت عيناه في اتجاه الشاب ، وقد اعتراه الدهول ، وعندما رأت الفتاة الضاحكة تلك النظرة الذاهلة في عينيه ، عادت للضحك من جديد ، دون أن تقوى على أن تتمالك نفسها

***** ٥٤ *****

هذه المرة ، ونهض (صلاح) من رقدته ، وهو ينفض الرمال عن جسده ، ناظرا يسارا في اتجاه الشاب ، ثم يمينا في اتجاه الفتاة ، وفي عينيه نظرة امتعاض ، وأحست الفتاة بالخرج ، وتمنت ألا يظن (صلاح) أنها تسخر منه ، فعملت على حجب ضحكتها مرة أخرى ، قائلة بصوت رقيق :

- أنا آسفة .. ولكن المشهد كان مثيرا للضحك .. أعنى ...

ولم يرد عليها (صلاح) ، بل عاد ليجلس فوق مقعده ، موليا لها ظهره ، دون أن ينطق بكلمة ، وملامح الامتعاض ما زالت مرتسمة على وجهه ، وحاول أن يطبق جفنيه ويستسلم للنوم مرة أخرى ، لكنه مالبث أن فتح جفنيه مرة واحدة ، وقد ومضت عيناه ، وبدتا أكثر ذهولا عن ذي قبل .. لقد اختفت منهما نظرة الامتعاض التي وجهها إلى الشاب والفتاة الضاحكة ، وحلت محلها نظرة دهشة بالغة .. ربما كانت من نفسه هذه المرة ، بأكثر مما هي من أي شيء آخر ، وهتف لنفسه بهمس :

- كيف لم ألحظ ذلك من الوهلة الأولى ؟ هذه الفتاة رائعة الجمال ، ولها عينان ساحرتان .
وضرب بيده على جبهته ، قائلا :

***** ٥٥ *****

- يالى من أحمق .. كيف سمحت لنفسى أن أستقبل
ضحكتها الفاتنة هذه بوجه متجههم ونظرات غاضبة ؟
والنفت نحوها ، ليراها وقد أمسكت بإحدى المجلات
تطالعها ، حيث اختفت ملامح الضحك من وجهها ، لتحل
محلها ملامح لفتاة جادة ، وقد استولت المجلة على
اهتمامها ، ولكن حتى بهذه الملامح الجادة .. كانت الفتاة
رائعة الجمال بالفعل ..

كانت تمتلك شعرا أسود ناعما ، ينسدل فوق كتفها فى
انسيابية جذابة ؛ وعينين ساحرتين بلون العسل الصافى ،
تشعان جمالا وثقة واعتزازا بالنفس ، أما بشرتها فكانت
متوردة توردا طبيعيا ، يغنيها عن استخدام أية مساحيق
للتجميل ..

واحتاج (صلاح) عدة لحظات ، لكى يسترد سيطرته
على نفسه ، ويستعيد توازنه من جديد ، والذي أخلت به
هذه المرة تلك الجاذبية التى تشع من الفتاة ، التى رفعت
عينها عن المجلة ، لتراه وهو يحدق فيها ، وما أن التفت
عيناه بعينيهما ، حتى ابتسم لها قائلا :

- معك حق .. لقد كان المشهد مثيرا للضحك
والسخرية بالفعل .. لقد فوجئت بذلك الشيء يتراقص فوق

جسدى ، دون أن أرى ما إذا كان قد هبط من السماء ، أم
انشقت عنه الرمال .

لم تجبه الفتاة سوى بابتسامة صغيرة ، قالت بعدها
بصوت رقيق :

- على كل حال أكرر أسفى .
اتسعت ابتسامة (صلاح) ، قائلا :
- على أى شيء .. لو كنت مكانك لما تماكنت نفسى أنا
أيضا من الضحك .

عادت الفتاة تنظر إلى المجلة ، دون أن تعلق بأى
تعليق ، وحرك (صلاح) مقعده قليلا ، لينقص من المسافة
بينه وبينها ، قائلا :

- هل أنت من (الإسكندرية) أم تصطافين هنا ؟
عادت ترفع عينها عن المجلة مرة أخرى ، قائلة :
- بل جئت لقضاء بضعة أيام فى (الإسكندرية) .
(صلاح) :

- وحدك أم مع العائلة ؟
أجابته قائلة :
- بل برفقة أبى .

(صلاح) :
- لابد أنك من (القاهرة) .

وفجأة اكتست ملامحها بمظهر حاد ، قائلة :

- لا أعتقد أنك تنوى إجراء تحقيق معي .

(صلاح) :

- ولماذا لا تقولين إننى أرغب فى التعارف ؟

أجابته بنفس اللهجة الجافة :

- وما الذى يدعونا إلى التعارف ؟

شعر ببعض الحرج ، فأخذ يتلفت يمينا ويسارا ، لفتات

غير ذات مغزى ، ثم قال :

- لا أعتقد أنه هناك ما يمنعنا من التعارف ، فمعظم

العلاقات الإنسانية تبدأ بمثل هذه التعارفات .

نظرت الفتاة إلى المجلة ، قائلة :

- عندما يكون هناك سبب لذلك .

ثم التفتت إليه قائلة بحدة :

- أم أنك تظن أن بضعة ضحكات ، اعتذرت لك عنها ،

تمنحك الحق فى محاولة التقرب منى .

قال (صلاح) ، وفى عينيه نظرة صدق :

- فى الواقع إننى لم أر فى حياتى أجمل من هذه

الضحكات .

نظرت إليه قائلة :

- إنك تغازلنى أيضا .

وفى تلك اللحظة اقترب شخص ضخمة الجثة ، قوى
البدن ، على الرغم من سنوات عمره المتقدمة ، وشعره
الأشيب ، من مظلة الفتاة ، فنهضت سريعا لاستقباله ،
قائلة :

- أبى .. لماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟

قال الرجل ، وهو ينظر إلى (صلاح) نظرة حادة :

- لقد سرقنا الوقت أنا وعمك (أمين) ، فى لعب
الطاولة .

قالت وهى تجمع حاجياتها :

- لقد قلقت عليك .

سألها الرجل :

- لماذا تجمعين حاجياتك ؟ .. هل تنوين الرحيل ؟

أجابته قائلة :

- نعم .. بدأت أشعر بالسأم .

قال مندهشا :

- ولكن الجو جميل ، والبحر رائع .

ردت قائلة :

- ولكننى أريد العودة إلى المنزل .

عاد الرجل ينظر إلى (صلاح) فى حدة ، قائلاً :

- هل ضايقتك أحد ؟

أجابته قائلة :

- أبدا .. أنا أرغب في العودة إلى المنزل ، فلا أجد
تسلية حقيقية في وجودي هنا .

وكان (صلاح) قد تراجع بمقعده ، إلى وضعه السابق ،
وهو يتظاهر بالتطلع إلى الأمواج ، بعد أن لاحظ تلك
النظرات النارية ، التي يوجهها إليه الرجل ، الذي عاد
يقول لابنته :

- ولكني رأيت ذلك الشاب يحاول التحدث إليك .

تعلقت الفتاة بذراع أبيها ، قائلة :

- هيا بنا الآن يا أبى .. وسأروى لك ما حدث في
طريقنا .

قال الأب مصطنعا الخشونة :

- إذا كان قد ضايقك فقولى لى .

ولكنها جذبتة من ذراعه ، قائلة :

- لم يصل الأمر إلى حد المضايقة .. قلت لك : سأروى
ما حدث في الطريق .

وتنفس (صلاح) الصعداء ، وهو يراهم رااحلين ، إثر هذا
الموقف المحرج ، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من
التطلع إلى الفتاة ، ومتابعة خطواتها ، وهي تسير فوق
الرمال ، ولم يتمالك نفسه من الإعجاب : فقد كانت الفتاة

تمتلك قواما مشوقا كفصن البان ، لا يقل فتنة وجاذبية
عن وجهها الساحر ، وخيل إليه وهو يتابع خطواتها على
الشاطئ ، أنها قد التفتت وراءها لتلقى عليه نظرة
سريعة ، بل خيل إليه أنها تشيعه بابتسامة خلابة ،
وأغمض عينيه .. ثم فتحتها قائلاً لنفسه :

- هل يمكن أن يكون هذا حقيقيا ؟

ولم يجد لديه جوابا شافيا ..



٥ - أعراض الحب ..

لم يستطع (صلاح) أن يمنع نفسه عن التفكير فيها طوال اليوم ، واليوم الذي يليه .. ظلت صورتها ماثلة في ذهنه ، وضحكاتها المشرقة تبعث الدفء في أوصاله .. لقد شدته هذه الفتاة إليها منذ الوهلة الأولى ، ولأول مرة يجد نفسه عاجزاً عن التركيز في عمله ، حتى أن أحد زملائه لاحظ ذلك ، فسأله قائلاً ؟ ..

- ما هذا يا (صلاح) ؟ .. لقد أخطأت في إحصاء عدد الصناديق .

انتبه (صلاح) قائلاً :

- هه .. يبدو أنني قد أخطأت بالفعل .

قال زميله ، وهو يتطلع إليه بدهشة :

- هذا هو الخطأ الرابع منذ الصباح ، مع أنك مشهود لك بالكفاءة ودقة التركيز ، ولا أتصور أنك تقع في أخطاء بسيطة كهذه ، لا يمكن أن يرتكبها مبتدئ .

مرر (صلاح) يده على جبهته ، قائلاً :

- أعتقد أنني أفقد التركيز الكامل هذا اليوم .

ابتسم زميله ، قائلاً بتخايب :

- هل تحب يا (صلاح) :

نظر إليه (صلاح) بدهشة ، وعاتبه قائلاً :

- ماذا تقول ؟

ضحك زميله ، قائلاً :

- لماذا انفعلت هكذا ؟ كلنا وقعنا في المحذور من قبل .

سأله (صلاح) ، كما لو كان يحاول أن يستفسر منه عن

شيء خفي عنه :

- ماذا تقول ؟

قال زميله ضاحكاً :

- أقول : تبدو عليك أعراض الحب ، فعندما يفتقد خبير

مثلك التركيز ، ويرتكب مثل هذه الأخطاء الصغيرة ، فهذا

يعنى أنه قد وقع في الحب ، أو في سبيله إلى ذلك .

سأله (صلاح) :

- قل لي يا (كمال) .. هل تؤمن بتلك الأشياء التي

يكتبونها في الروايات ونراها في الأفلام ؟ .. أعني تلك

الأشياء التي يكتبونها ، عن الحب من النظرة الأولى ،

وأن تجد فجأة أمامك فتاة ليس بينك وبينها سابق معرفة

أو صلة وطيدة ، تستولي على كل حواسك ومشاعرك في

لحظة واحدة .

حك (كمال) رأسه ، قائلاً :

- فى الواقع اننى لم أمر فى حياتى بشيء كهذا ، فأنا لم أحب زوجتى إلا بعد ثلاثة أشهر من الخطبة ، وانتهى هذا الحب بعد شهر واحد من الزواج ، ومع ذلك فلا أعتقد أن هناك شيئاً اسمه الحب من النظرة الأولى ، إلا إذا كنت تقصد الإعجاب بفتاة ما .

طرق (صلاح) أصابعه ، وقد بدا كما لو كان قد اهتدى إلى الإجابة الصحيحة ، قائلاً :

- نعم .. الإعجاب .. أعتقد أن هذه هى الكلمة الصحيحة .

نظر إليه زميله قائلاً :

- إذن فقد أعجبت بفتاة ما .

أمسك (صلاح) ساعديه ، قائلاً :

- نعم .. فتاة رائعة الجمال ، لها ضحكة خلابة ، وابتسامة ساحرة ، رأيته إلى جوارى فجأة على شاطئ البحر ، فبدت كما لو كانت إحدى حورياته ، غادرت فجأة لتجلس على الرمال ، ومهما حاولت أن أصف لك يا (كمال) ، فلن أستطيع أن أصور لك كم هى جميلة وفاتنة تلك الفتاة .

نظر إليه صديقه ، وهو يقول :

- مهلاً .. مهلاً .. يبدو أن هذه الفتاة قد خلبت لك

بالفعل ..

(صلاح) :

- لو رأيته لأيقنت أننى لا أبالغ فى وصفها ، فلها سحر لا يقاوم .

(كمال) :

- إذا كان الأمر كذلك ، فلك كل العذر فيما ارتكبته من أخطاء ، وفى تلك الصورة الشاردة التى تبدو عليها ، ويكون ذلك الشيء حقيقياً إذن .

(صلاح) :

- أى شيء ؟

(كمال) :

- ذلك الذى يسمونه الحب من الوهلة الأولى ، فالشرود وعدم القدرة على التركيز ، وتلك الطريقة التى تصف بها الفتاة ، لا تدل على إعجاب فقط ، بل على أنك أصبت بشحنة كهربائية شديدة القوة ، قذفتك بها حورية الشاطئ هذه ، فزلزلت كيائك كله .

(صلاح) :

- (كمال) .. إننى لا أمزح .

(كمال) :

- وأنا أيضاً .. لقد أصبت بتلك الشحنة الكهربائية ، التى

يسمونها الحب، ويبدو أن في عيني فتاتك (فولتا) على التركيز.

ابتسم (صلاح) ، وهو يهز رأسه قائلاً لنفسه :

- لا أعتقد أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد .. ولكن ...

قاطعته (كمال) :

- ولكن قل لي .. هل تعرفت الفتاة ؟

(صلاح) :

- هه .. ماذا تعنى ؟

قال (كمال) بتبرم :

- ماذا أعنى ؟ وهل لذلك سوى معنى واحد ؟ .. هل

تعرفت هذه الفتاة التى خلبت لبك ؟

(صلاح) :

- فى الحقيقة .. لم تمنحنى الفرصة لذلك .

(كمال) :

- ألم تبتسم لك ؟

(صلاح) :

- بل أكثر من ذلك .. لقد كانت تضحك .. وكانت

ضحكتها رائعة .

(كمال) :

- عظيم .. إذن فقد أعجبت بك .

***** ٦٦ *****

(صلاح) :

- فى الحقيقة لم يكن هذا إعجاباً بى ، ولكنها كانت

تضحك لأنها رأتنى فى موقف مثير للسخرية ، وأصابنى

بارتباك كبير .

(كمال) :

- أى موقف هذا ؟

بدا (صلاح) متردداً قليلاً ، ثم ما لبث أن قال :

- لقد هبط على فجأة قرموط من السمك من مكان

لا أعلمه ، وأطاح بى من فوق مقعدى .

تراجع (كمال) خطوتين إلى الوراء ، وهو يتطلع إلى

صديقه بدهشة ، مردداً :

- قرموط سمك .. (صلاح) يا صديقى .. هل وصل

تأثير هذه الفتاة عليك إلى هذا الحد ؟ .. هل جعلتك تفقد

عقلك ؟

(صلاح) :

- هذه هى الحقيقة .. لقد حاول أحد الفتيان أن يمزح

مع صديقتي ، فألقى عليها بأحد الأسماك ، وهو ما يزال

حيًا ، فأخطأها ليكون هذا القرموط من نصيبى ، وقد

وجدت نفسى أنتفض من النوم فجأة ، لأجد ذلك الشيء

***** ٦٧ *****

بتلاعب فوق جسدى ، فأصابنى ذلك باضطراب كبير ، مما
جعلنى أفقد توازنى ، لأسقط بمقعدى فوق الرمال .
وكانت الفتاة جالسة تحت المظلة المجاورة ، وعندما
شاهدت ما حدث لم تتمالك نفسها من الضحك .
انفجر زميله فى الضحك لعدة لحظات ، ثم قال له
محاولا السيطرة على نفسه :

- والله لها حق ، فالمشهد يبعث على الضحك بالفعل ،
حتى أن مجرد تصويره يجعلنى .. يجعلنى ...
ثم عاد للاستغراق فى الضحك مرة أخرى ، دون أن
يكمل جملته ، ونظر إليه (صلاح) بغضب ، قائلا :
- انتى لم أرو لك ذلك لكى تسخر منى .
(كمال) :

- آسف يا صديقى .. ولكن ما رويته ...
وتوقف عن الضحك تماما هذه المرة ، قائلا :
- المهم .. ماذا حدث بعد ذلك ؟
(صلاح) :

- عندما رأيته مستغرقا فى الضحك على هذا النحو ،
وأنا فى حالة بالغلة من الاضطراب ، شعرت بالحنق
عليها ، ورميتها بنظرة غاضبة ؛ لكن ما إن عدت للجلوس
فوق مقعدى ، حتى انتفضت فى مكانى كما لو أصابنى مس

***** ٦٨ *****

شيطانى ، إذ راعنى أننى لم أنتبه فى أثناء انفعالى . لذلك
القدر الكبير من الجمال ، الذى تمتلكه هذه الفتاة ،
ووجدتنى ألوم نفسى لأننى غضبت ، وأنا أرى أجمل ضحكة
رأتها عيناي .
(كمال) :

- وحاولت التحدث إليها .. أليس كذلك ؟
(صلاح) :

- نعم .. لقد شعرت أنها قد تجاوبت معى فى البداية ،
فتبادلنا معا حديثا وديا ، ولكنها سرعان ما اتخذت مظهرا
جديا ، ورافضا لاستمرار هذا الحديث .
(كمال) :

- هذا أمر طبيعى ، فالفتاة لم تحاول أن تبدو سهلة
المنال أمامك ، ولكن تجاوبها فى البداية معك يدل على أنك
قد نلت إعجابها أنت أيضا .
قال (صلاح) شاردا :

- أعتقد هذا ، فقد ابتسمت لى ابتسامة رقيقة فى أثناء
انصرافها .
(كمال) :

- إذن فقد تركتها ترحل ، دون أن تعرف عنوانها ، أو
تنال حتى منها موعدا .
(صلاح) :

***** ٦٩ *****

- بل .. ولم أعرف حتى اسمها ..

(كمال) :

- يالك من أحمق !

(صلاح) :

- لقد حضر والدها فجأة ، واصطحبها معه ، فلم
يمنحني ذلك أية فرصة للحديث معها .

صمت (صلاح) برهة ، ثم قال :

- اسمع يا (كمال) .. هل يمكنك أن تحصل لى على إذن
بالإتصاف مبكرا ، من رئيس الإدارة ؟

(كمال) :

- لماذا ؟

(صلاح) :

- سأعود إلى الشاطيء .. ربما التقيت بها فى نفس
المكان الذى قابلتها فيه أمس .

نظر إليه (كمال) مليا ، ثم قال بخبث :

- واضح أن الأمر قد تجاوز بالنسبة لك حدود
الإعجاب .

(صلاح) :

- المهم .. هل يمكنك أن تساعدنى فى الحصول على
هذا الإذن ؟

(كمال) :

***** ٧٠ *****

- سأحاول .. خاصة وأنت بحالتك الحالية هذه
لا تصلح لأداء أى عمل آخر ، غير التفكير فى فتاتك
الحسنة ، كما أنه من الغباء التخلّى عن فتاة بهذه
المواصفات .

هرع (صلاح) إلى الشاطيء ، حيث اتجه إلى المكان
الذى اعتاد أن ينصب فيه مظلته عادة ، وعيناه تبحثان
بلهفة عن فتاة الأمس ، لكنه لم يجدها ، كما لم يجد مظلتها
قائمة فى مكانها ، واقترب منه الرجل الذى يعمل فى تأجير
المظلات والمقاعد للمصطافين ، قائلا :

- أهلا .. أستاذ (صلاح) .. لقد جئت فى غير موعدك
المعتاد .. هل أعد لك مظلتك ؟

التفت إليه (صلاح) ، الذى كان مشغولا بالبحث عن
الفتاة ، قائلا :

- قل لى يا عم (جابر) .. لقد كانت هنا فتاة أمس ..
أعنى تلك الفتاة التى كانت تجلس على يمينى .. ألم ترها
اليوم ؟

أجابه (جابر) ، قائلا :

- يا أستاذ (صلاح) .. هناك آلاف المصطافين يأتون
ويذهبون كل يوم ، كيف تريد منى أن أتذكر إحداهن وسط
هذا الحشد ؟ .. الشاطيء واسع وممتد ، ولا تنتظر أن
تستقر إحداهن فى مكان محدود كل يوم .

***** ٧١ *****

(صلاح) :

- ولكننى لا أتخلى عن هذا المكان غالبا .

رد عليه الحارس ، قائلا :

- أنت زبون قديم ومعروف ، وأنا أحجز لك هذا المكان

بناء على طلبك بوسائلى الخاصة ، وفى اليوم والميعاد

الذى اعتدت المجيء فيه ، ولدى عدد من الزبائن الآخرين

مثلك ، ولكننى لا أعرف تلك التى ...

وفجأة جحظت عينا (جابر) ، وضرب بيده على

جبهته ، قائلا كما لو كان قد تذكر شيئا كان خافيا عنه :

- انتظر .. هل تعنى الانسة (الهام) ؟

(صلاح) :

- لا أعرف اسمها بالضبط ، ولكن والدها رجل طويل

القامة ، عريض المنكبين ، يتمتع ببنيان قوى ، على

الرغم من سنوات عمره المتقدم ، ويبدو أنه يهوى لعب

الطاولة .

ابتسم (جابر) ، قائلا :

- نعم الأستاذ (شوكت) المحامى .. لابد أنك تعنى

الانسة (الهام) ، ابنة الأستاذ (شوكت) .. لقد كانت هنا

قبل أن تأتى بخمس دقائق فقط .

قبض (صلاح) على ساعدى (جابر) ، قائلا :

- وأين هى الآن ؟

نظر إليه (جابر) بدهشة ، قائلا :

- لقد انصرفت .

أطرق (صلاح) برأسه أسفا ، وهو يقول :

- انصرفت .

ابتسم (جابر) ، قائلا :

- على كل حال .. لقد رأيته تسير على الشاطيء

بمفردها ، دون أن تتجه إلى الشارع العمومى .

ثم غمز فى خبث ، قائلا :

- ومن يدري ؟ .. ربما كانت تبحث عنك كما تبحث

عنها أنت الآن ، فالشاطيء ممتد ، والأمل لا ينقطع .

ولم يسمع (صلاح) عبارته الأخيرة ، إذ أدار له

ظهره ، وانطلق يركض فوق رمال الشاطيء باحثا عنها ،

عله يلحق بها ..

وبقلبها ..

★ ★ ★

٦ - خائفة من الحب ..

لمحها (صلاح) وهى تسير بمحاذاة الشاطئ ، وقد أخذت تنقل نظراتها على استحياء بين رواد البلاج ، كما لو كانت تبحث عن شيء ما ، ووقف عدة لحظات يتأملها بإعجاب ، متسائلا :

- ترى .. هل يمكن أن تكون هى الأخرى قد اهتمت به ، وأخذت تحاول العثور عليه ، كما فعل هو ؟
واقترب منها مناديا :

- (الهام) .

استدارت سريعا لتتنظر إليه فى دهشة ، جعلتها تتسمر فى مكانها عدة لحظات ، دون أن تنطق بكلمة واحدة ، ودنا منها قائلا :

- إننى سعيد لأننا التقينا مرة أخرى .

خيل إليه أن نظرة الدهشة فى عينيها كادت تنقلب إلى ما ينم عن البهجة والارتياح ، ولكنها سرعان ما وأدت ما يمكن أن يفصح عن هذا التعبير ، لتبدى بعض التحفظ ، قائلة :

- كيف عرفت اسمى ؟

ابتسم قائلا :

- من الطبيعى عندما يهتم إنسان بآخر ، أن يحاول تعرف اسمه .

قالت وهى متمسكة بتحفظها الظاهر :

- وما الذى يدعوك إلى الاهتمام بى ؟

(صلاح) :

- لك أجمل ضحكة رأيته فى حياتى .

اصطنعت الغضب ، قائلة :

- هأنذا تعود إلى المغازلة من جديد .. اسمع

يا أستاذ ...

قاطعها ببرود :

- (صلاح) .. اسمى (صلاح) .

استطردت قائلة :

- يجب أن تعرف أن تصرفك هذا غير لائق .. إننى

أعترف بالخطأ ، عندما سمحت لنفسى بالضحك وتجاذب

الحديث معك أمس ، ولكن هذا لا يعطيك الحق فى

مطاردتى على هذا النحو .

(صلاح) :

- أولا : إننى لم أقل ما يجرح مشاعرك ، ولا أفكر فى

مضايقتك مطلقاً .. لقد ألقيت سؤالاً وأجبت عليه بمنتهى الصدق والصراحة ، أم كنت تريدني منى أن أكذب عليك ؟ ..

ثانياً : إننى لم أسع لمطاردتك ، بل أعتقد أن كلا منا كان يبحث عن الآخر .

علا صوتها باستنكار ؟

- ماذا ؟ ... كيف سمحت لنفسك أن تتصور أننى كنت أحاول البحث عنك ؟ ولماذا ؟
أجابها بهدوء :

لأن كلا منا يكن شيئاً من الإعجاب للآخر .. بل إننى أعتقد أن مشاعرى نحوك تتجاوز حد الإعجاب ، وتلك أمور قدرية أى لا نسعى نحن إلى ترتيبها ، وإنما يرتبها القدر .

وردت عليه بسخرية :

- كم فتاة أسمعته هذه الاسطوانة .

قال ووجهه ينطق بالصدق هذه المرة :

- (الهام) .. أعرف أنك لاتصدقيننى ، وأن هذه الأشياء قد تبدو غير معقولة ، وفيها شيء من المبالغة ، ولكنك بالفعل لم تبرحى تفكيرى وخيالى منذ أمس ، وقد جئت إلى هنا بحثاً عنك ، وأنا أتمنى أن أراك ، وعندما

***** ٧٦ *****

حدث هذا أحسست بسعادة كبيرة ، فإذا كان كل هذا لا يعنى بالنسبة لك شيئاً ، فسوف أذهب ولن ترينى فى طريقك مرة أخرى .

صمتت برهة ، قبل أن تقول بصوت خافت :

ما الذى تريده منى ؟

(صلاح) :

- أن تمنحني فرصة .. مجرد فرصة للتحديث والتعارف .

عادت للصمت مرة أخرى ، ثم قالت :

- سأفكر .

وعلت الابتسامة وجهه (صلاح) ، وهو يقول :

- إذن سيمكننى أن أدعوك لتناول طعام الغداء اليوم .
قالت متعجبة :

- قلت لك سأفكر ، ثم إننى أتناول الغداء دائماً مع أبى .

(صلاح) :

- ما رأيك لو كانت الدعوى على العشاء ؟

قالت بدلال :

- لماذا تبدو لحرماً هكذا .. امنحني فرصة للتفكير ؟

(صلاح) :

- إذن سأنتظرك غداً أمام كازينو الشاطئ ، فى تمام

السابعة مساءً ، فسوف يمنحك هذا فرصة كافية للتفكير .

***** ٧٧ *****

(إلهام) :

- ولكن لا تعتبر هذا وعداً منى بالحضور ، فأنا لم أقرر
بعد ما إذا كان يمكننى مقابلتك أم لا .

(صلاح) :

- لن أفقد الأمل .

(إلهام) :

- والآن هل تسمح لى بالذهاب ؟

(صلاح) :

- لماذا لا تبقيين قليلاً ؟ .. البحر اليوم رائع ، والطقس
أكثر روعة .

(إلهام) :

- لقد تأخرت على أبى ، ولا أريد منه أن يقلق على .
مد يده مصافحاً ، وهو يقول :

- لا تنسى الساعة مساءً ، أمام كازينو الشاطيء ..
سأكون فى انتظارك .

مدت له يدها فى استحياء ، وما أن تلامست أيديهما
حتى أحس (صلاح) بالحرارة تسرى فى جسده لملامسة
هذه اليد البيضاء الناعمة ..

★ ★ ★

توقفت (إلهام) قليلاً أمام مدخل منزلها ، المطل على

***** ٧٨ *****

الشاطيء ، وراحت تلوم نفسها على تماديها مع ذلك
الشباب على هذا النحو ، وإلى الحد الذى تتفق معه على
موعد اللقاء والخروج بمفردها ، ولكنها سرعان ما هزت
رأسها قائلة لنفسها :

- ولكن لم يحدث بيننا أى اتفاق حقيقى ، لقد قلت له :

إننى سأفكر ، وهذا يعنى أننى غير ملتزمة بشيء .

وتقدمت عبر مدخل المنزل ، لتجد والدها جالساً فى
الحديقة ، وقد انشغل فى لعب الطاولة مع صديقه ،
وعندما رآها مقبلة نحوهما لوح لها قائلاً :

- أهلاً يا (إلهام) .. تعالى لتشاهدى عمك (أمين) ،
وهو ينال هزائم منكراً .

وحمدت الله على أنه لم يلحظ تأخرها ، وأن انشغاله
بلعب الطاولة مع صديقه جعله يغفل عن حالة الارتباك التى
تبدو عليها ، وتقدمت منهما مبتسمة ، وهى تقول لأبيها ،
وقد أحاطت كتفه بساعدها :

- رفقا بعم (أمين) يا بابا .

ضحك قائلاً وهو يلقي الزهر :

- وهل ترفق هو بى ، عندما هزمنى أمس ؟ .. لقد
أطلق العنان للسان اللاذع أمام كل من نعرفهم ، لمجرد
فوز هزيل .

***** ٧٩ *****

وقال صديقه بانفعال ، بدا كما لو كان حقيقيا :

- وهل تسمى ثلاث هزانم متوالية فوزا هزيلا ؟

أجابه والدها :

- نعم .. وإلا فماذا تسمى هزيمتك فى خمس عشرات

متوالية ؟

رد صديقه بتحد :

- سترى كيف سأعوض الهزيمة ، وأرد لك الصاع

صاعين ، وبعد ذلك سأطلق العنان للسانى كما أشاء .

ابتعدت (الهام) عنهما ، تاركة إياهما يتجادلان ، وقد

استحوذت الطاولة على كل اهتمامهما ، فقد اعتادت أن

تراهما على هذا النحو يتشاجران ، كما لو كانا عدوين ،

كلما وضعت الطاولة بينهما ، ثم لا يلبثان أن ينهضا

صديقين عزيزين ، لا يقوى أحدهما على فراق الآخر ،

ونظرت (الهام) إلى والدها فى حنان وحب حقيقى ، وهى

تؤنب نفسها قائلة :

- لم أعتد إخفاء شيء عن أبى ، ولكننى لا أعتقد أننى

أستطيع أن أبوح له بما حدث بينى وبين ذلك الشاب ، فهو

متشدد فى مثل هذه الأمور ، على الرغم من الحرية التى

يعطيها لى ، كما أننى لن أستطيع أن أخبره بالطبع أننى

سأذهب للقاءه مساء الغد .

***** ٨٠ *****

وتسمرت فى مكانها ، وقد أحست بشيء من الغضب

تجاه نفسها ، قائلة :

- لماذا أصر على أننى سألقاه فى ذلك الموعد الذى

حدده ؟ .. لقد قلت : إننى غير ملتزمة تجاهه بأى شيء ،

ولن أذهب لهذا الموعد ودلفت داخل شقتها ، وهى

مصممة على ذلك ، ولكن بعد لحظات ، وعندما استرخت

فوق فراشها ، تراجعت عن هذا التصميم ، وهى تتساءل :

- ولكن لماذا لا أذهب ؟ .. هل أنا خائفة من لقائه ؟ ..

ولماذا الخوف ؟ .. إنه لا يبدو ممن يبعثون الخوف فى

نفوس الآخرين .. بل إنه من ذلك النوع الذى يشعر المرء

حياله بتألف سريع .

ثم نهضت من فراشها ، لتنظر إلى نفسها فى المرآة ،

قائلة :

- لماذا كل هذا اللف والدوران ؟ .. لماذا لا تواجهين

نفسك بالحقيقة .. هذا الشاب يحوز إعجابك ، بل إنه أحدث

أثرا سريعا فى نفسك ، منذ اللحظة الأولى التى رأيته

فيها ، وهو شيء لم يحدث طوال حياتك ، مع كل من

عرفتهم أو التقيت بهم ، وهذا هو نفس ما قاله لى اليوم ..

بل إنه يتعين عليها أن تعترف أنها لم تحضر إلى الشاطئ

اليوم خصيصا ، إلا للبحث عنه ، وأنها أحست بالأسف

***** ٨١ *****

لعدم رؤيتها له أسفل المظلة المجاورة ، فانطلقت تبحث عنه بين رواد الشاطئ ، هي حقيقة حاولت إخمادها حتى عن نفسها ..

وسرعان ما تراجعت خطوتين إلى الوراء ، وهي تنظر إلى صورتها في المرآة ، واضعة يديها على وجنتيها ، اللتين توردتا من شدة الاحمرار ، وقد أخذت تسأل نفسها :

- ولكن .. ما معنى هذا ؟

أحسنت بأن صورتها في المرآة تحذرهما قائلة :

- (إلهام) .. كوني حذرة مع نفسك ، فأنت تنزلقين إلى عاطفة مجهولة مع هذا الشاب .. عاطفة لم تعرفها طوال حياتك من قبل .. عاطفة ربما جلبت لك السعادة ، وربما حكمت عليك بالشقاء .

واستعادت في ذهنها كل القصص العاطفية ، التي قرأتها من قبل ، والتي تعاطفت خلال قراءتها مع جراح أبطالها ، وكل تلك القصص التي سمعتها من صديقاتها ، عن مشاعر الحب الخفية المبهمة وعذاباته وروعة اللقاء بين المحبين ، التي تبدأ من خلال موعد كهذا الذي ضربه لها ذلك الشاب ، ثم لوعة الفراق التي تنتهي دون موعد . وقالت لنفسها ، وهي تستند إلى الجدار :

***** ٨٢ *****

- ولكن ليست كل قصص الحب التي سمعتها أو قرأت عنها تنتهي بالفراق والشقاء .. هناك الكثير من القصص التي تحمل أجمل المعاني ، وتنتهي نهايات سعيدة . وعادت تهز رأسها مرة أخرى ، وكأنها تنفض عنها هذه الأفكار قائلة :

- ما هذه الترهات .. الأمر لا ينطوي بلاشك على ما هو أكثر من الإعجاب .. نعم إنه مجرد إعجاب متبادل ، ويمكن إيقافه عند هذا الحد ، ولا داعي للتفكير في كل هذه الأمور .

ولكنها أحسنت أن القدر يحمل لها ما هو أكثر من ذلك ، مع هذا الشاب الذي لم تلتق به سوى مرتين فقط ، وعلى الرغم من هذا فقد أصرت على ألا تتورط معه في أي ارتباط ، كما أصرت على ألا تذهب للقائه في الموعد الذي حدده لها ، وعلى الرغم من هذا أيضا ، فقد انتقت أجمل ثوب لديها في اليوم التالي ، ووقفت أمام المرآة تتأمل نفسها قبل الموعد بساعة واحدة .. استعدادا للذهاب إليه .

★ ★ ★

***** ٨٣ *****

٧ - شيء قدرى ..

استقبلها عل باب الكازينو ، قائلاً :

- كنت أعرف أنك ستأتين .

قالت وقد استفزتها عبارته :

- وما الذى جعلك متأكدًا هكذا ؟

(صلاح) :

- إحساسى .

(إلهام) :

- لم أكن أتوى الحضور .

(صلاح) :

- ولكنك جئت .. وهذا هو المهم .

وتأملها (صلاح) ، وفى عينيه نظرة إعجاب واضحة ،

قائلاً :

- تبدين فائنة .

تضرجت وجنتاها بالاحمرار ، وهى تخفض عينيها إلى

أسفل ، وقال لها (صلاح) ، وهو يدعوها لكى تدخل

الكازينو ، قائلاً :

***** ٨٤ *****

- هل سنظل واقفين هكذا ؟ .. تفضلى .

جاءت دعوته هذه لتتقدم من حرجها ، فتقدمت تسبقه

إلى الداخل بخطوات متسريعة .

قدم لها كوب العصير ، قائلاً :

- هل رفقتى مزعجة إلى هذا الحد ؟

تطلعت إليه قائلة :

- لم تقول هذا ؟

(صلاح) :

- لقد مر علينا أكثر من ربع ساعة ، لم تتفوهى خلالها

سوى ببضع كلمات ، فى حين أتحدث أنا طوال الوقت .

ردت عليه قائلة :

- معذرة .. إنها المرة الأولى التى أخرج فيها مع

شخص غريب .

ابتسم قائلاً :

- من يراك وأنت تضحكين بشقاوة على البلاج ، ثم

وأنت تجادليننى بحدة أمس ، لا يتصور أنك الفتاة الخجولة

الجالسة أمامى الآن .

(إلهام) :

- لست خجولة ، ولكننى أشعر أن تصرفى هذا غير

لائق ، فما كان يجب أن أتمادى معك إلى هذا الحد ، كما أن

لدى إحساساً قوياً بالذنب .

***** ٨٥ *****

(صلاح) :

- وما الداعى لكل هذا ؟ .. ما بيننا شيء برىء جدًا ،
كما أننى لست ممن يتجاوزون الحدود مع مدعويهم ، أم
أنك ترين أننى لا أستحق ثقتك ؟

(الهام) :

- إننى لم أعتد إخفاء شيء على أبى ، وأشعر بالذنب
لأننى كذبت عليه ، بشأن لقائنا هذا .

(صلاح) :

- إذن كان يتعين عليك أن تخبريه .

(الهام) :

- بهذه البساطة .. إنك لا تعرف أبى ، فهو دائم
التحذير لى من أمثالك .

نظر إليها بدهشة ، قائلاً :

- من أمثالى ؟! .. ماذا تظنيننى ؟

اعتذرت قائلة :

- أسفة .. يبدو أننى أتمادى فى ارتكاب الأخطاء

اليوم .. ولكن ...

قاطعها قائلاً :

- اسمعى يا (الهام) .. إننى أقدر شعورك ، فنحن لم
نتعارف إلا منذ يومين فقط ، وهناك الكثير من المحاذير

***** ٨٦ *****

التي تحيط بتعارف سريع كهذا ، ولكن عليك أن تثقى بى
قليلاً ، وتتخلصى من هذه المشاعر المضطربة .. قد أكون
غريباً بالنسبة لك ، ولكنك لا تبدين غريبة مطلقاً بالنسبة
لى ، وهذا شعورى منذ وقعت عينائى عليك ، كما أننى لن
أقول مثلك : إنها المرة الأولى التى أخرج فيها مع فتاة ،
فقد عرفت وخرجت مع الكثيرات ، ولكنها المرة الأولى
التي ينتابنى فيها هذا الإحساس القوى ، الذى يشدنى
إليك ، ويدفعنى إلى التفكير فىك طوال الوقت ، والتعلق بك
وكاننى أعرفك منذ فترة طويلة .

ثم نظر إليها بعينين صادقتين ، قائلاً :

- هل تصدقيننى يا (الهام) ؟

وجدت نفسها ترد عليه بطريقة آلية وصوت خافت ،
وكانها منومة تنوينا مغناطيسياً ، قائلة :

- نعم .. أصدقك .

وفجأة وجدت نفسها تقول بطريقة طفولية ، وبفضول
الأنثى :

- كم فتاة خرجت معها من قبل ؟

ضحك قائلاً : وهو يراقب تورد وجنتيها من الخجل :

- لا أذكر العدد .. كما لا أذكر أيًا منهن الآن ، ولا

***** ٨٧ *****

تجاولى أن تعقدى مقارنة بينك وبينهن . فأنت مختلفة
تماما عن الأخريات .

وقطع الصمت الذى ران بينهما للحظات ، قائلا :

- (الهام) .. حدثينى عن نفسك .

(الهام) :

- ما الذى تريد معرفته عنى ؟

(صلاح) :

- كل شيء .

(الهام) :

- ليس فى حياتى شيء يشد الانتباه .. لقد توفيت
والدتى وأنا بعد طفلة صغيرة ، لا يتجاوز عمري التسع
سنوات ، وتولى أبى رعايتى حتى هذه اللحظة ، وبعد أن
انتهيت من دراستى الجامعية ، وهو يقوم بهذا بكل حب
وإخلاص وتفان .

(صلاح) :

- هل تعملين ؟

(الهام) :

- نعم .. أعمل مهندسة ديكور .. لقد استلمت العمل
العام الماضى فقط ، فى أحد المكاتب الصغيرة ، ولدى دائرة
قليلة من الأصدقاء ، وأبى لديه مكتب محاماة ، واسم

***** ٨٨ *****

معروف فى المحاكم ، وهو بالنسبة لى صديق عزيز قبل
أن يكون والدا .

ابتسم (صلاح) قائلا :

- من الواضح أنك متعلقة بأبيك إلى درجة كبيرة ، فأنت
تذكرينه دائما .

(الهام) :

- إنه يستحق ذلك ، فأبى يستحق التقدير فى كل
شيء .. فى إخلاصه لذكرى والدتى الراحلة ، الذى جعله
لا يتزوج حتى الآن ، وفى التزامه بعمله ، وفى رعايته
لى ، والعمل على تنشئتي أفضل تنشئة ، وفى أشياء كثيرة
لا أستطيع أن أحصيها .

وصمت قليلا ، وهو يتأملها بإعجاب ظاهر ، وهى
تتحدث إليه ، وعادت وجنتاهما إلى توردهما ، فقالت
بابتسامة خجولة :

- هل ستظل تحديق فى هكذا ؟

أسند (صلاح) ذقنه إلى قبضته ، وقد وضع مرفقه
على المائدة ، دون أن يرفع عينيه عنها ، قائلا :

- أنا أيضا أرى أنك تستحقين ذلك ، فعندما يجلس
المرء أمام فتاة تملك كل هذا القدر من الجمال مثلك ،
لا يملك سوى أن يبقى محققا فيها من شدة الإعجاب .

***** ٨٩ *****

قالت بصوت خجول ، وإن كان ينم عن أن كلماته قد
مست وترا في قلبها :

- كم فتاة ممن التقيت بهن قلت لهن مثل هذه
الكلمات ؟ ..

ارتسمت عليه ملامح الغضب ، وهو يقول :

- هانتذى تعودين فتشبهين نفسك بالأخريات .. إذن
فأنت لم تصدقيني فيما قلته لك ، من أنك تختلفين بالنسبة
لى عن أية فتاة أخرى عرفتھا ، على الرغم من أنك قلت
إنك تصدقيني .

(إلهام) :

- إنني أتحدث عن تلك الكلمات التى رددتها على
مسامعى الآن .

(صلاح) :

- وأنا أتحدث عن الصدق فيما أقوله لك .. هناك فرق
بين الكلمات التى ينطقها اللسان فقط ، وتلك التى تخرج
من القلب .

(إلهام) :

وكيف لى أن أعرف ؟

(صلاح) :

.. ما يخرج من القلب لابد أن يصل إلى القلب .

***** ٩٠ *****

وصمت قليلا قبل أن يقول :

- إلا إذا كان موصدا ، أو يسكنه شخص آخر .

قالت فى استحياء :

- قلت لك إننى لم أعرف أحدا قبلك .. أعنى لم أعرفه
إلى الدرجة التى تدعونى إلى الخروج معه فى مكان عام .
لمست أنامله أصابعها ، وهو يقول لها :

- وأنا أصدقك .. وبدون أية شكوك .. ليتك تصدقيني
أنت أيضا بنفس القدر .

وأسرعت بإبعاد أصابعها بعيدا عنه ، وهى تقول :

- وأنت .. ألا تريد أن تحدثنى عن نفسك ؟

(صلاح) :

- إننى أعمل مفتشا جمر كيا فى (الإسكندرية) ، وأنا
أيضا فقدت أبى فى سن مبكرة ، وتبادلت أنا وأمى رعاية
بعضنا البعض .. أنا فى الصغر وهى فى الكبر .. لقد
أصبحت تقريبا كل شئ فى حياتى ، هى وابنة خالتى
تربيت معها من الصغر ، وأعتبر نفسى مسئولاً عنها ،
خاصة بعد أن فقدت والديها .. ولا شئ عدا ذلك .

(إلهام) :

- إذن فأنت تعمل فى (الإسكندرية) .

(صلاح) :

***** ٩١ *****

- نعم .. برغم أنني من مواليد (القاهرة) .

(الهام) :

- إننى أقيم مع أبى ، فى أحد ضواحي (مصر الجديدة) .

(صلاح) :

- إذن فنحن جيران ، فأنا أقطن مع والدتى فى منطقة

حدائق القبة .

ونظرت (الهام) فى ساعتها فجأة ، قائلة :

- ياه .. لقد تأخرت .. يجب أن أنصرف .

(صلاح) :

- ولكن الوقت ما يزال مبكراً .

(الهام) :

- لقد وعدت أبى ألا أتأخر .

(صلاح) :

- أرجوك .. ابقى قليلاً .

قالت وهى تنهض واقفة :

- لا أستطيع أن أتأخر أكثر من ذلك .

(صلاح) :

- انتظري إذن سأدفع الحساب وأتى لتوصيلك .

(الهام) :

- لا داعى لذلك .. سأخذ سيارة أجرة .

(صلاح) :

- أرجوك .. لا تحرمينى من أن أوصلك حتى باب

الكازينو على الأقل .

ودفع الحساب ، ثم اصطحبها إلى خارج الكازينو ،

حيث قال لها بامتنان حقيقى :

- (الهام) .. لقد منحتنى سعادة حقيقية بتلبيتك

دعوتى .

تجرات قليلاً على النظر فى عينيه ، وقد أحست

باضطراب حقيقى فى مشاعرها ، ثم ما لبثت أن خفضت

عينها ، قائلة :

- أمس ، وقبل أن أحضر إليك بساعة واحدة ، كنت قد

عقدت العزم على ألا أحضر لمقابلتك ، ولكننى لا أدرى

ما الذى جعلنى أراجع عن هذا القرار ، حتى وجدت قدمى

فى النهاية تقودانى إليك .

(صلاح) :

- قلت لك من قبل : إننى أشعر بأنه هناك شئ قد جمع

بيننا .

مدت يدها مصافحة ، فتناولها فى راحته الدافئة ،

قائلاً :

- سنتقابل مرة أخرى يا (الهام) .. أليس كذلك ؟

قالت ، وقد أحست برجفة من ملامسة يدها ليده :
- لا أدري ...

ولكنه قاطعها ، قائلا :

- غدا على الشاطئ ء ، فى نفس المكان الذى تقابلنا فيه
من قبل .

(الهام) :

- ولكن ...

(صلاح) :

- ستأتين .

وأشار لسيارة أجرة ، توقفت إلى جوارهما ، حيث فتح
لها الباب ، وعاد يكرر :

- سنلتقى غدا .

قالت وهى تستقل السيارة ، دون أن تجيب على عبارته :
- أشكرك على تلك الدعوة .

وانصرف وقلبه يرتجف ..

يرتجف فى شدة .

★ ★ ★

٨ - وعد بالحب ..

مضت الأيام لتزيد ارتباط (الهام) و (صلاح) ،
وأصبحت (الهام) أكثر خروجاً بحجج مختلفة تخترعها
لأبيها ، منذ عرفت (صلاح) ، فقد أصبحت يقضيان معظم
الوقت معا ، ينتزهان على الشاطئ ء ، ويرتادان متنزهات
(الإسكندرية) المختلفة .. وتحقق كل ما خمنه كل منهما
بالنسبة للآخر ..

لم يكن الأمر مجرد إعجاب أو نزوة صيف ..

لقد جمعتهما الحب بكل معانيه ..

الحب الذى لم يعرفه أحدهما من قبل ..

وأحس كل منهما أنه لم يعد يستطيع الاستغناء عن
الآخر ، ومع تعمق العلاقة بينهما ، أخذ كل منهما يروى
للآخر كل جزء ولو يسير من حياته الماضية والحاضرة ،
وأحلامه وطموحه بالنسبة للمستقبل ، وذات يوم ، وهما
ينتزهان فوق رمال الشاطئ ء ، قالت له (الهام) بخجل :
هل تذكر ذلك اليوم الذى ناديتنى فيه على الشاطئ ء ؟
(صلاح) :

- نعم .. لقد انطلقت أركض فوق الرمال في ذلك
اليوم ؛ لأبحث عنك ، وأنا أنقب عن وجهك الجميل بين
رواد الشاطئ .

(الهام) :

- هل أخبرك بسر؟

(صلاح) :

- إذا أردت ذلك .

(الهام) :

- أنا أيضا كنت أبحث عنك .

قال (صلاح) ، وفي عينيه نظرة متخابثة :

- كنت أعرف ذلك .

قالت بدلال ، وهي تضربه بقبضتها الرقيقة في رفق

على كتفه :

- أيها المغرور .. هذا ليس ادعاء ، فكيف يتأتى لك أن

تعرف .

ابتسم (صلاح) قائلا :

- لقد رأيتك يومها تتلكنين في خطواتك على

الشاطئ ، وعيناك تبحثان بين المصطافين عنى ، حتى

(جابر) حارس الشاطئ أدرك ذلك .

أطرفت قائلة بخجل :

***** ٩٦ *****

- ما كان يجب أن أخبرك بهذا .

رفع وجهها إليه بأنامله ، وهو ينظر إلى عينيها ،
قائلا :

- لم تعد بيننا حاجة لإخفاء مشاعرنا ، فكلانا يعرف

الآن أن مشاعره قد استسلمت للآخر ، منذ اللحظة

الأولى ، ودون أن ندري حتى بذلك .

ضحكت قائلة بشقاوة :

- ولكنى لم أوقع لك بعد وثيقة الاستسلام .

ابتسم قائلا :

- ولكننى أرى التوقيع واضحا ومعتمدا في نظرات

عينيك .

وتركته يلف ساعده حول كتفيها ، وهو يقودها إلى

بقعة هادئة من الشاطئ ، حيث ألقى كل منهما جسده فوق

الرمال ، وما لبثت أن التفتت إليه ، قائلة بلهجة السؤال :

- (صلاح) .: إنك تحصل على إجازات أسبوعية ..

أليس كذلك ؟

(صلاح) :

- بالطبع .

(الهام) :

- ولماذا لم تحاول الذهاب إلى (القاهرة) ، في إحدى

هذه الإجازات ، لزيارة أسرتك ؟

***** ٩٧ *****
(٧ - زهور (٤٧) رجل وقلبان)

التفت إليها بأسفاً ، وهو يقول :

- ما هذا .. أتحاولين التخلص مني .

ولكن (إلهام) قالت بجدية :

- لا .. لقد قلت لى من قبل مدى الصلة التى تربط بينك وبين والدتك ، وأعتقد أن ثلاثة أسابيع فترة طويلة لكى بحرم كلاهما من رؤية الآخر ، خاصة أن المسافة فى القطار لا تتجاوز الساعتين .

نظر إليها (صلاح) بحب وتقدير ، قائلاً :

- يا لك من فتاة رائعة ! إنك تحثيننى على القيام بواجبى تجاه أمى ، فى تلك اللحظات التى كان يتعين عليك فيها الانشغال بنفسك .. لقد عرفت منذ توطدت علاقتى بك ، أنك نست من ذلك النوع الأنانى .

قالت (إلهام) ، وهى تحتوى ساقىها بين ساعديها :

- إننى لا أَرْضى أن أكون سبباً فى أن تنسى مسئوليتك تجاه أمك .

اعتدل (صلاح) فى جلسته ، وهو يحتوى ساقيه بساعديه ، أيضاً ، وقد شرد بعينه فى اتجاه الأمواج المتلاطمة ، قائلاً :

- إنك لم تشغلينى عن التفكير فى أمى ، وعن رغبتى فى رؤيتها ، ولكن المشكلة ليست فى سفرى لرؤيتها ، وإنما المشكلة الحقيقية تكمن فى (نهى) .

***** ٩٨ *****

نظرت إليه (إلهام) ، قائلة :

- ابنة خالتك !؟

(صلاح) :

- نعم .

(إلهام) :

- وما المشكلة التى تسببها لك ابنة خالتك ؟

نظر إليها (صلاح) فى صمته ، وقد بدا عليه التردد ، واستحثته (إلهام) على التكلم ، قائلة :

- (صلاح) .. لماذا لا تجيبينى ؟

سرعان ما تخلص (صلاح) من تردده ، قائلاً :

- سأخبرك .. فقد اتفقنا على ألا يخفى أحداً شيئاً عن الآخر .

وروى لها (صلاح) كل ما كان بينه وبين (نهى) ، ذكرياته معها منذ الطفولة .. ظروفها النفسية .. الأحداث التى مرت بها أخيراً .. حبها الجارف له ، وتعلقها المرضى به ، وإحساسه بالمسئولية والذنب تجاهها ، وبعد أن انتهى من قصته ، صمتت (إلهام) بضع لحظات ، قبل أن تقول :

- ولكن الهروب لن يحل المشكلة .

(صلاح) :

***** ٩٩ *****

- وماذا أفعل ؟

(إلهام) :

- واجه الأمر بحسم .. أخبرها أن العلاقة بينكما لن تزيد في يوم من الأيام عن علاقة القربى ، ورابطة الصداقة القوية .

(صلاح) :

- حاولت أن أفهمها ذلك بشتى الطرق ، ولكنها مندفة في مشاعرها نحوى ، إلى حد يجعلها غير مستعدة للفهم ، أو تقبل الأمر .

(إلهام) :

- لقد فتحت لها بابا للأمل ، قبل أن تحضر إلى (الإسكندرية) ، وهى مازالت متعلقة بهذا الأمل .

(صلاح) :

- لقد طلبت منها أن يكون كل منا متحررا ، من أى التزام يربطه تجاه الآخر ، وأن يمنح نفسه فرصة حقيقية لاختبار مشاعره ، دون أية مؤثرات .

(إلهام) :

- ولكنك لم تعطيها إجابة حاسمة ، بشأن هذا الاختبار .

(صلاح) :

- لقد تصورت أن الإجابة قد وصلتها دون حاجة إلى

***** ١٠٠ *****

شرح ، فبعد مرور أكثر من شهر على انتقالى إلى (الإسكندرية) ، لم يحدث أى تحول فى مشاعرى أو سلوكى نحوها ، وهو ما يعنى أنها ستبقى بالنسبة لى دائما ابنة خالتى ، وبمثابة أخت لى فقط .

(إلهام) :

- إنها ترى كل ذلك ، ولكنها ترفض أن تصدقه ، وتصبر على أن تبقى معلقة بأمل كاذب ، وأعتقد أن هذا أيضا واضح لك ، من خلال نظراتها وسلوكها معك ، على الرغم من أنه لم يعد مباشرا ، كما كان من قبل .

(صلاح) :

- وهذا ما يقلقنى .

(إلهام) :

- إذن عليك أن تكون حاسما فى توضيح الأمر بالنسبة لها .

(صلاح) :

- ولكننى أخشى أن أجرح مشاعرها ..

(إلهام) :

- سيكون هذا أفضل لكليكما .

(صلاح) :

- معك حق .. سأذهب إلى (القاهرة) الأسبوع القادم .

***** ١٠١ *****

وأضع الأمور في نصابها الصحيح ، ومهما كانت النتائج ،
فهذا أفضل .

قالت (إلهام) بنبرة ذات مغزى :

- هل ستفعل ذلك بالنسبة لـ (نهي) فقط ؟

نظر إليها بدهشة ، قائلاً :

- ماذا تعنين ؟

حدقت في وجهه بتمعن ، قائلة :

- أعنى ...

وحولت وجهها تجاه الأمواج ، مستطردة :

- لا شيء .

أمسك (صلاح) ساعدها ، قائلاً :

- (إلهام) .. ماذا تريد أن تقولى ؟

عادت تنظر إليه مرة أخرى ، قائلة :

- أريد أن أقول : ماذا بشأننا يا (صلاح) ؟ لقد بدأ أبى

ينتبه للأمر ، خاصة مع خروجى المتكرر ، والساعات
الطويلة التى نقضيها معا ، وأبى رجل لا يفتقر إلى
الذكاء ، ولا أشك فى أنه قد بات يفهم كل شيء ، وقد حاول
أن يحدثنى بشأن خروجى المتكرر ، وإن كان ذلك بصورة
غير مباشرة .

إنه حتى الآن يعتمد على ثقته بى ، ولا يريد أن يمارس

***** ١٠٢ *****

معى حقوقه كأب ، من حقه أن يتساءل عن تلك التغييرات
التى ألت بآبنته ، وأن يمنعها من الخروج الذى بات
متكرراً وبصفة دائمة ، ولساعات طويلة خارج المنزل ،
وأنا من ناحيتى لا أرغب فى خيانة ثقته بى أكثر من ذلك .
(صلاح) :

- إننا لا نرتكب أية أخطاء ، يمكن أن نخجل منها ،
فحبنا لا تشوبه شائبة .

(إلهام) :

- إخفاء حقيقة تلك العلاقة عنه تعد فى حد ذاتها خطأ .

(صلاح) :

- إذن أخبريه بالحقيقة .

نظرت إليه فى دهشة ، قائلة :

- بماذا تريد منى أن أخبره ؟ .. بأننى تعرفت شاباً منذ

عدة أسابيع ، وأننى أخرج معه كل يوم تقريباً .. وأننى ..
وأننى ..

ابتسم (صلاح) ، وهو يراقب تورد وجنتيها ، قائلاً :

- هيا اكملى وأنت ماذا ؟ هل تخجلين من قولها ؟ ..

وأنت تحبينه .. كم أحب أن أرى تورد وجنتيك على هذا

النحو ، وأنت عاجزة عن مقاومة خجلك .

وتخلصت (إلهام) من خجلها ، قائلة :

***** ١٠٣ *****

- يبدو أنك تأخذ الأمر باستخفاف يا (صلاح) .

قال (صلاح) بجدية :

- من قال هذا ؟ .. إننى أريد بالفعل أن تخبريه بكل شيء .. قولى له : إننى أحببتك خلال الأسابيع الماضية . وكأننى أعرفك منذ سنوات طويلة ، وإننى لم أعد قادرا على الاستغناء عنك ، أو عن تصور حياتى بدونك ، وقولى له أيضا : أن يحدد لى موعدا ، قبل ذهابى إلى (القاهرة) ، لكى أحضر معى والدتى ، ونأتى لمقابلته ، لكى نطلب منه يد ابنته .

تهلل وجهها بالفرحة ، وهى تهتف قائلة :

- حقا يا (صلاح) .

وأحست بالخجل ؛ لأنها أعلنت عن فرحتها بهذه الطريقة الصريحة ، فتمالكت نفسها ، وهى تقول بدلال : .. ألا تسألنى رأىي أولا ، فيما إذا كنت أرغب فى الزواج منك أم لا ؟

نظر إليها بتخايب ، قائلا :

- حقا .. وهل أنا بحاجة إلى مثل هذا السؤال ؟

استمرت فى دلالتها ، قائلة :

- هل أنت واثق من نفسك إلى هذا الحد ؟

(صلاح) :

- لك عينان لا تكذبان أبدا . وهما تسبقان لسانك دائما فى الجواب .

أزاحت خصلات شعرها عن جبينها ، قائلة :

- وماذا قالت لك عيائى ؟

(صلاح) :

- قالت : إننا سنكون أسعد زوج وزوجة ، مادامنا نملك

كل هذا القدر من الحب . الذى جمع بيننا .

وتشابت أصابعها بأصابعه . وهى تقول هامسة :

- أعدك بأن هذا الحب لن يزول من قلبى أبدا ، وبأننى

سأعمل دائما على إسعادك ، وأكون لك نعم الزوجة المحبة

المخلصة ..

أعدك يا (صلاح) ..

أعدك .

★ ★ ★



٩ - جنون الحب ..

كانت (نهى) جالسة أمام مكتبها تستذكر دروسها ،
عندما سمعت صوته بالخارج ، وهو يقول لوالدته :
- ست الحبايب .. لقد أوحشتنى للغاية .. ما أخبار
صحتك .

وارتجفت (نهى) فوق مقعدها ، وقد سقط منها القلم ،
وهى تهتف بصوت تكتنفه فرحة طاغية :

- (صلاح) :

وأسرعت تغادر غرفتها ، وقد تهلل وجهها بالسعادة ،
مرعدة :

- (صلاح) :

كان (صلاح) مستسلما لأحضان وقلبات أمه ، التى
أخذت تعاتبه قائلة :

- كل هذه المدة يا (صلاح) .. تغيب عنا كل هذه المدة
الطويلة ، دون أن نراك .

أخذ (صلاح) يعتذر لها قائلا :

- لم يكن الأمر بيدى يا أمى .. إنها ظروف العمل ..

* * * * * ١٠٦ * * * * *

ردت عليه قائلة :

- ألم تكن هناك عطلات أسبوعية ؟ .. لقد كنت أنوى أن
أذهب إليك أنا و (نهى) .

(صلاح) :

- ولكننى كنت أطمئن عليكما تليفونيا .. أليس كذلك ؟
استمرت أمه فى عتابها ، قائلة :

- وهل تظن أن التليفون يمكن أن يطفىء حنين أم
لابنها ؟

(صلاح) :

- على كل حال ، عندما تعرفين الخبر الذى أحمله
معى ، ستسامحيننى .

ولمح ابنة خالته وهى واقفة على أعتاب غرفتها تنظر
إليه ، وفى عينيها حنين جارف ، فابتسم لها قائلا :

- (نهى) .

وبدون أن تدري ، وجدت نفسها تندفع إليه ، لتلقى
بنفسها فوق صدره ، وهى تطوقه بعينيها ، مرعدة :

- لقد أوحشتنى كثيرا يا (صلاح) .. كنت أفقدك
بشدة ..

وفوجئ (صلاح) بتصرفها هذا ، فأحس بشيء من
الحرج والارتباك ، وهو يراها تحتضنه على هذا النحو ،

* * * * * ١٠٧ * * * * *

وسرعان ما أدركت (نهى) أنها قد تصرفت بحمق ورعونة ، فأبعدت ذراعيها ، وقد أصابها هي الأخرى بعض ما أصابه من حرج ، قائلة بصوت خافت :

- أسفة .. لقد فعلت هذا دون وعى منى .

أسرعت خالتها تنقذها من حرجها ، وتعيد الأمور إلى نصابها . قائلة :

- إنك لم تفعل شيئا يستحق كل هذا الارتباك ، فكلانا كان يفتقد (صلاح) بشدة ، وهو فى النهاية ابن خالتك ، وفى مقام أخيك الكبير .

تناول (صلاح) يدها بين راحتيه ، قائلاً :

- ما أخبرك يا (نهى) ؟

أجابته قائلة ، دون أن ترفع عينيها عن وجهه ، وكأنها تعوض نفسها عن الأيام التى خرمت خلالها من رؤيته :

- أنا بخير .. كيف حالك أنت ؟

ألقي (صلاح) بجسده فوق أحد المقاعد ، قائلاً :

- أنا على خير ما يرام .

جلست (نهى) على المقعد المجاور له ، قائلة بصوت مازال يحمل نبرة التأثر لرؤيته :

- أهى ظروف عملك حقاً ، التى منعتك من الحضور إلى (القاهرة) ؟

(صلاح) :

- بالطبع .. وماذا كنت تظنين إذن ؟ .. أخبرينى أنت .. هل بدأت تستذكرين دروسك بالجامعة وتحضرين المحاضرات ؟

(نهى) :

- نعم .. لقد التزمت بذلك ؛ لأنك طلبته منى فى اتصالك التليفونى .

(صلاح) :

- حسن .. إننى مسرور لذلك .

(نهى) :

- ولكنى لا أعرف ما إذا كنت سأستطيع التقدم للامتحان هذا العام أم لا .

(صلاح) :

- أنا واثق من أنك ستفعلين وستجتازين الامتحان بنجاح .

(نهى) :

- ولكننى بدأت متأخرة ، وفاتنى الكثير من المحاضرات .

(صلاح) :

- سيمكنك تعويض ذلك .. أنا أثق من قدراتك وذكاك ، وتأكدى من أننى سأكون سعيداً للغاية ، عندما أعرف أنك قد حصلت على البكالوريوس هذا العام .

قالت وعيناها مازالتا معلقتين به :

- إن سافعل هذا ، مادام سيسعدك .

رأى (صلاح) تلك النظرة الهانمة فى عينيها ، فأشاح بوجهه نحو أمه ، هرباً .. قائلاً :

- إننى فى شدة الشوق والجوع لطعامك الشهى يا ست الحبايب .

ربت أمه على ظهره فى حنان ، قائلة :

- حالاً يا حبيبى .. ستكون المائدة معدة بمجرد أن تبدل ثيابك .

وقفزت (نهى) من مقعدها ، قائلة :

- سيكون جاهزاً قبل أن تنتهى من تبديل ثيابك .. سأحضره لك بنفسى .

★ ★ ★

فى مساء اليوم التالى ، طرق (صلاح) باب حجرة أمه ، ثم دلف إلى الداخل فى هدوء ، حيث وجدها مستلقية فوق الفراش ، وقد تذرثت بالأغطية ، وأسندت ظهرها إلى مسند سريرها ، وهى تتلو بعض الآيات القرآنية ، وما إن رآته حتى ابتسمت له فى حنان ، قائلة :

- (صلاح) .. تعال يا حبيبى .

وأفسحت له مكاناً إلى جوارها على السرير ، حيث جلس فى مواجهتها ، وهو يقول :

***** ١١٠ *****

- الحمد لله .. كنت أخشى أن أجدك نائمة . سألته أمه قائلة :

- هل تريد شيئاً يا حبيبى ؟

(صلاح) :

- إنك لم تسألينى بعد عن الخبر الذى أحمله لك ، والذى قلت لك : إنه سيجعلك تغفرين لى عدم حضورى طوال الفترة الماضية .

سألته أمه بلهفة قائلة :

- ترى ما هذا الخبر ؟ .. يبدو أن هذا الخبر سيحمل شيئاً ساراً بالنسبة لى .

(صلاح) :

- نعم .. سيسرك جداً .. قولى لى أولاً ، هل تحسنت حالة قدميك الآن .. أعنى هل تخلصت من المتاعب الروماتزمية التى كانت تؤلمك ؟

أجابته أمه قائلة :

- إلى حد كبير ، فقد أتى العلاج بنتيجة طيبة خلال الأسبوعين الماضيين ، ولكن ما علاقة هذا بالخبر الذى قلت إنك تحمله معك .

(صلاح) :

- علاقته أنك ستضطرين للسفر معنى إلى (الإسكندرية) بعد يومين .

***** ١١١ *****

نظرت إليه أمه بدهشة ، قائلة :

- أسافر معك .. ولكن لماذا ؟

(صلاح) :

- لتخطبى لى أجمل إنسانة رأتها عيناي .. الفتاة

الوحيدة التى عرف معها قلبى معنى الحب .

هللت أمه بفرحة ، وهى تحتضنه قائلة :

- حقاً يا (صلاح) .. هذا أجمل خبر سمعته فى حياتى .

وسمع (صلاح) صوت زجاج يتهشم بالخارج ، فأسرع

يفتح باب الحجرة ، حيث وجد (نهى) واقفة أمام الباب

كالتمثال البارد ، وقد تتأثرت العديد من القطع الزجاجية

تحت قدميها ، وفوجئ برويتها ، فسألها قائلاً :

- (نهى) .. ماذا حدث ؟

قالت بوجه شاحب وعينين زائغتين :

- أسفة .. لقد أتيت لأقدم الدواء لخالتي ، ولكن الكوب

سقط منى .. و ... و ...

ولم تستطع أن تكمل جملتها ، فاستدارت سريعاً ، وهى

تركض مبتعدة عن المكان .

ونظر (صلاح) إلى أمه ، وملامح القلق والحيرة بادية

على وجهه ، وقالت له أمه فى انزعاج :

- مسكينة (نهى) .. لا بد أنها سمعت كل شيء .

***** ١١٢ *****

اطرق قائلاً :

- هذا ما كنت أوشاه .

ولكنه رفع رأسه ناظراً إلى أمه ، وهو يقول وكأنه

يحاول أن يدفع عن نفسه إحساسه المبالغت بالذنب :

- ولكن ربما كان هذا أفضل .. كان عليها أن تواجه

الحقيقة ذات يوم .. لقد حاولت أن أفهمها أكثر من مرة ،

أن مشاعرى نحوها لم تتعد مشاعر أخ نحو أخته . و ...

قالت أمه :

- ليس هذا هو المهم الآن .. المهم أن تلحق بها ، فلا

أدرى أى ضرر يمكن أن تلحقه بنفسها ، وهى فى هذه

الحالة .. أنت تعرف حالة (نهى) يابنى .

(صلاح) :

- معك حق يا أمى .

واندفع ليلحق بها فى حجرتها ، حيث وجدها واقفة فى

إحدى زوايا الحجرة ، وقد أسندت كتفها للجدار ، وبدا من

الواضح أن جميع أعضاء جسدها مشدودة ومتوترة ،

وعندما اقترب منها أغمضت عينيها بإحكام : حتى لا يرى

دموعها ، فوقف حائراً إلى جوارها عدة لحظات ، لا يدرى

ماذا يقول ، ثم تشجع وهو ينظر إلى ملامح وجهها

المتقلص ، قائلاً :

***** ١١٣ *****

- لقد سمعت ما دار بيني وبين والدتي .. أليس كذلك ؟
لم تجبه ، بل بقيت واقفة على نفس الوضع الذي رآها
عليه كالتمثال الجامد ، فعاد يقول :

- ألا يتعين عليك أن تفرحي لابن خالتك ؟
تحولت إليه قائلة بمرارة :

- أفرح ؟! .. يا القسوة مشاعرك ! .. أبعد كل هذه
الأسابيع التي غبت فيها عني ، وظللت أحسبها بالساعة ..
بل بالدقيقة ، في انتظار اللحظة التي تعود فيها ، كنت
أتعذب كل يوم لفراقك ، وكنت أعزى نفسي بالأمل ..
الأمل في أن تعود ذات يوم ، لتقول لي إنك أنت أيضا عانيت
من ابتعادنا عن بعضنا ، وإنك أدركت قيمة حبي لك ، وأن
كل منا لم يخلق إلا للآخر ، الأمل الذي زرعتك أنت في نفسي
قبل رحيلك .. كنت أحلم بهذه اللحظة .. أتخيلها ..
وأرقص من السعادة وأنا أعيش هذا التخييل ، ثم أعود
فأقول لنفسي إنني يجب ألا أتعجل الأمر ، ربما لن يحدث
هذا بعد عدة أسابيع ، ربما أحس بي بعد عدة أشهر ، بل
بعد عدة سنوات .. يجب أن أصبر وألا أتعجل تحقيق هذا
الحلم ، ولكن على ألا أفقد الأمل .. وكنت مستعدة أن
أصبر .. سنوات وسنوات .. فقط لا أريد أن أصحو ذات
يوم ، وقد فقدت هذا الأمل .. لا أريد أن أنام

* * * * *

ليلة دون أن أعيش هذا الحلم .. واليوم جنت لتتزع مني
هذا الأمل .. اليوم أراك وقد حطمت حلمي الجميل .. اليوم
جنت لتقول إنك أحببت فتاة أخرى ، وتنوى الزواج منها .
وتعالى نحبيها ، وهي تقول بكلمات متشنجة :

- لقد حطمت آمالي وأحلامي .. حطمت كل شيء .. كل
شيء يا (صلاح) .

دنا منها ليمسك كتفيها بيديه ، قائلاً :

- لا تظلميني يا (نهى) .. إنني لم أعطك هذا الأمل
المزعوم ، ولم أفرض نفسي على أحلامك .. ألم نتفق ،
قبل رحيلي إلى (الإسكندرية) ، على أن نعطي مشاعرنا
الفرصة والحرية في الاختيار ، دون أن يلتزم أحدهما تجاه
الآخر بشيء .. ليس ذنبي أن مشاعري نحوك لم تختلف ،
فما زالت هي نفس مشاعر المودة والإعزاز ، التي يحسها
الأخ نحو أخته .

قالت من خلال دموعها :

- قلت لك يومها إنني لن أتوقف عن حبك أبدا .. أية
فتاة لن تستطيع أن تحبك كما أحبك أنا .
(صلاح) :

- ربما .. ولكن المهم أن يكون الحب متبادلاً من
الطرفين .

* * * * *

(نهى) :

- أى شيء يمكن أن تقدمه لك هذه الفتاة ، يفوق احساسى ومشاعرى نحوك .

(صلاح) :

- الأمر ليس مسألة أخذ وعطاء .. إنها أمور يحسمها القلب ، وليس لأحد منا سلطان على قلبه .

(نهى) :

- وقلبي أنا ؟ .. ألم تفكر فيه لحظة واحدة ؟ .. إننى لم أحب ولن أحب أحدا سواك ، فكيف تعتقد ، وكيف يهون عليك بهذه السهولة أن تحرمنى منك ؟

(صلاح) :

- لو كنت مكانك لتساميت بمشاعرى الكبيرة هذه ، وتمنيت لك السعادة مع الشخص الذى أحببته ، فالحب ليس أنانية .. إنه أسمى من ذلك بكثير .

قالت ، وقد تحجرت العبرات فى عينيها :

- لا يا (صلاح) .. كن منصفاً ، ولا تحاول ادعاء المثالية .. لو كنت مكانى لاكتويت الآن بالنار التى أكتوى بها ، ولما سمحت لشخص آخر أن يأخذ منك الإنسان الذى أحببته أبدا .

قال (صلاح) ، بعد أن أطلق زفرة قصيرة :

★ ★ ★

- يبدو أنه لا جدوى من المناقشة معك الآن .. سادعو الله أن ينزل سكينته على قلبك ونفسك .

ثم استعد لمغادرة الحجرة ، ولكنها هجمت عليه كالنمرة الثائرة ، لتمسك بتلابيبه ، وهى تصرخ قائلة :

- لا يا (صلاح) .. لن أسمح لأى إنسانة أخرى بأن تأخذك منى .

حاول أن يبعد يدها عن سترته ، ولكنها تشبثت بها فى إصرار ، وهى مستمرة فى الصراخ ، مرددة فى هستيريا :

- لن تكون لغيرى .

استمر (صلاح) فى محاولته ، قائلاً :

- (نهى) .. أبعدى يديك عن سترتى .. ستمزقينيها .
ولكنها بدت فى حالة غير طبيعية ، وكأنها لا ترى ولا تسمع ، ولم يجد (صلاح) بدا من أن يدفعها عنه بقوة ، بعد أن جذب يديها عن سترته التى تمزقت ، وجاءت دفعته من العنف ، بحيث فقدت (نهى) توازنها ، لتهوى على الأرض ، وقد اصطدم رأسها بحافة السرير صدمة قوية قبل سقوطها ، وأحس (صلاح) بالفزع ، وهو يراها على الأرض ممددة دون حراك ..
بالفزع الهائل .

★ ★ ★

١٠ - اغفرى لى ..

قال الطبيب بعد أن انتهى من فحص (نهى) :
- أعتقد أنها بحاجة لطبيب متخصص فى أمراض
العيون ، فمن الواضح أنها قد فقدت القدرة على الإبصار .
نزل الخبر على (صلاح) أشبه بالصاعقة ، فأغمض
عينيه ليخفى تأثيره البالغ ، وقال له الطبيب مشجعا :
- تجلّد .. وأنصح بسرعة إحضار أخصائى ، فما يزال
الأمّل قائما .

وانخرطت الأم فى بكاء شديد ، وهى تجلس إلى جوار
(نهى) على الفراش ، فى حين بدا وجه الفتاة جامدا ، كما
لو كان قد صُلب فى قالب من الشمع ، وهم (صلاح)
بمغادرة الحجرة ، للاتصال بطبيب متخصص فى أمراض
العيون ، ولكنه سمعها قبل أن يفتح الباب تقول :
- الدكتور (مراد) .

اقترب (صلاح) منها ، دون أن يقوى على التحدث
إليها ، فقد أعجزه إحساسه بالذنب عن أن يقول شيئا ،
وأحست بأنفاسه قريبة منها ، فعادت تقول :

- لا أريد لأحد أن يفحصنى سوى الدكتور (مراد
فهى) .

قالت الأم بصوت خافت :

- إنه صديق المرحوم والدها ، وسبق له معالجة
المرحومة أختى من مرض مزمن أصاب عينيها .
سألها (صلاح) :
- وهل هو فى (القاهرة) ؟
أجابته الأم :

- نعم .. عيادته فى (القاهرة) وليست فى
(الإسكندرية) ، ومعنى عنوانه .

وانحنى (صلاح) على وجه (نهى) ، قائلا بهمس :
- سأحضر لك ما تشائين من الأطباء المتخصصين ،
وإذا اقتضى الأمر سأعالجك بالخارج ، وستشفيين
يا (نهى) .. أعدك أننى لن أدخر جهدا فى سبيل رد بصرك
إليك .

قالت (نهى) بنفس الصوت والوجه المتحجر :
- وأنا لن أقبل أن يفحص أحد عيني ، سوى الدكتور
(مراد) .

نهض (صلاح) قائلا :

- سأتصل به فوراً .

ثم عاد يجثو إلى جوارها ، وتناول يدها بين يديه ، وهو
يقول بصوت حزين :

- سامحيني يا (نهى) .. لم أكن أقصد ذلك أبدا .
ولكنها جذبت يدها من بين يديه فى شدة ، قائلة :
- لن أسامحك أبدا .. ليس من أجل عيني ، ولكن من
أجل قلبى الذى حطمته .. لن أسامحك أبدا .

★ ★ ★

أعاد الدكتور (مراد) فحص عيني (نهى) بدقة ، من
خلال أجهزة الكشف الدقيقة الموجودة لديه فى العيادة ،
وعلى وجهه علامات الحيرة ، قائلا :

- لا أدري ما سر إصرارك على أن الرؤية بالنسبة لك
منعدمة تماما .. إننى أستطيع أن أقطع بأنك لم تفقدى
بصرك تماما .. ربما حدث هذا فى بداية تعرضك للإصابة ،
وهذا أمر طبيعى ، وفقا لخبرتى الطبية ، أما الآن فمجال
الرؤية لديك لم ينعدم بصفة مطلقة ، وإن كان لا يتجاوز
العشرين فى المائة ، بالنسبة للرؤية الطبيعية .

(نهى) :

- ولكنى لا أرى .

الدكتور (مراد) :

وأنا لا أجد تفسيراً لذلك .. فى هذه الحالة سأضطر لعمل

***** ١٢٠ *****

كشف جماعى ، بمساعدة بعض زملائى ، للنظر فى حالتك
هذه .

قالت الفتاة بإصرار :

- لا داعى لذلك .. دكتور (مراد) هل تعتقد حقا أننى
سأستعيد بصرى بالكامل ، خلال الأيام القادمة ؟
قال لها :

- بحكم خبرتى .. أستطيع أن أؤكد أن ذلك سيحدث
خلال أسبوع أو عشرة أيام على الأكثر ، بعدها سترى
الأشياء بصورة طبيعية تماما ، فارتطامك بحافة الفراش
جعلك تصابين بما نطلق عليه نحن العمى المؤقت ، وهو
يحدث نتيجة تعرض حاسة الإبصار فى المخ لاحدى
الصددمات ، دون إصابة العين إصابة مباشرة ، ومع مرور
الوقت تستعيد العين إبصارها الطبيعى ، لذا فإن
ما يحيرنى أن تقولى : إنك عاجزة عن الرؤية تماما ، حتى
هذه اللحظة ، إذ أن هذا يخالف خبرتى ونتيجة الفحص .

قالت بصوت هامس :

- سأعترف لك بالحقيقة يا عمى .

ثم استدركت قائلة فى استعطاف :

- هل تسمح لى أن أقول لك يا عمى ؟

قال موافقا :

***** ١٢١ *****

- بالطبع يا بنيتي ؛ فوالدك كان أعز وأخلص صديق بالنسبة لي ، وأنت في حكم ابنتي .

قالت (نهى) :

- تشخيصك سليم تماما ، فأنا أرى ، وإن كانت الأشياء تبدو أمامي مهتزة وغير واضحة .

الدكتور (مراد) :

- الحمد لله ، ولكن لماذا ادعيت عكس ذلك ؟

(نهى) :

- لأنني أريد أن أبقى بالنسبة للجميع عمياء .

نظر إليها الدكتور (مراد) في دهشة ، قائلا :

- ماذا تقولين ؟

(نهى) :

- أريدهم أن يعرفوا أنني فقدت بصري تماما ، دون أن

تخبرهم بمسألة العمى الموقت هذه .

الدكتور (مراد) :

- ولكن لماذا ؟

(نهى) :

- عمى الدكتور (مراد) .. قلت لي : إنني بمثابة ابنة

لك ، وأنت لم تنكر إخلاص والدي لصداقتك ، وأفضاله

بالنسبة لك .. إنني بحاجة ماسة لهذا الادعاء ، على الأقل

في الوقت الحاضر .

* * * * * ١٢٢ * * * * *

الدكتور (مراد) :

- وأنا ما زلت أتساءل .. لماذا ؟

(نهى) :

- لبيتك تعفيني من الجواب .

الدكتور (مراد) :

- لا أستطيع أن أخالف شرف المهنة ، بادعاء شيء

غير حقيقي .

(نهى) :

- إنك لن تخالف شرفك المهني ، فما تقوله لن يلحق

الأذى بأحد ، ولكنه سينتشلني من شقاء أبدي ينتظرني ،

ويحقق لي حلما طالما تمنيته .

وتأملها الدكتور (مراد) ، متسائلا :

- (نهى) .. ماذا بك يا بنيتي ؟ .. إنني لا أستطيع أن

أفهمك .

(نهى) :

- سأروي لك كل شيء باعتبارك في مقام أبي ، وأرجو

أن تستمع إلي بهذه الصفة ، لا بصفتك طبيبا ، كما أرجو

أن تلبى لي مطلبى ، وتساعدني على تحقيق أمل عشت من

أجله .

وروت له (نهى) كل شيء ، عن حبيها العميق

* * * * * ١٢٣ * * * * *

لـ (صلاح) ، وعن أملها في أن يكون إحساسه بالذنب لما
اقترفه في حقها ، ولمعرفته بفقدائها لبصرها على يديه ،
سببا لارتباطه بها ، دون أن تخبره بأمر الفتاة الأخرى ،
ورغبته في الارتباط بـ (الهام) .
وما أن انتهت من شرح الأمر ، حتى قال لها الدكتور
(مراد) :

- إذن تريدني أن أشاركك في خداع ابن خالتك ..
أسف يا بنيتي لن أوافق على هذا .
وتشبهت بذراعه ، قائلة :

- لماذا تسعى خداعا ؟ .. سأستعيد بصري كما قلت ..
ليس كذلك ؟ .. إذن فأنت لن تدفعه للزواج من فتاة
محكوم عليها بالعمى ، ما تبقى لها من العمر ..
الدكتور (مراد) :

- أنت تريدني أن أستغل إحساسه بالذنب نحوك ، لدفعه
إلى الزواج منك ، وهذا نوع من الغش والخداع ، ثم كيف
تقبلين أن ترتبطي برجل لا يحمل لك سوى الشفقة وعذاب
الضمير ؟ .. أين كرامتك ، بالنسبة لزوج كهذا ؟
(نهى) :

- عمى .. (صلاح) يحبني .. أوكد لك أنه يحبني في
أعماقه ، وإن كان هذا غير واضح بالنسبة له .. إنه
بحاجة إلى أن أكون أكثر قربا منه ، حتى يكشف هذه

* * * * * ١٢٤ * * * * *

الحقيقة في نفسه .. إنني أعرف (صلاح) جيدا .. أعرفه
أكثر من أي مخلوق آخر .. وأعرف أن هذه هي الحقيقة ..
ثم كيف تقول إنني أسعى لاستغلال مشاعره ، وقد رويت
لك مقدار حبي له .. هل توجد في الدنيا فتاة يمكن أن تحبه
وتسعده ، كما أحبه أنا وأسعى لإسعاده ؟ .. إنني مستعدة
لأن أتغاضى عن كرامتي الآن بعض الشيء .. ولكنني واثقة
من أن شفقتي ستنقلب إلى حب في النهاية ، أو بمعنى أدق
ستكشف عن هذا الحب الكبير ، الذي يحمله كل منا للآخر ،
وبعدها عندما أخبره بالحقيقة ، سيغفر لي كل شيء .. إنني
واثقة من ذلك .

هز رأسه دون اقتناع ، قائلا :

- لا أستطيع أن أوافقك على ذلك .

أحنت (نهى) رأسها لتقبل يده ، قائلة :

- أرجوك يا عمى .. أتوسل إليك .

سحب الدكتور (مراد) يده سريعا ، قائلا :

- (نهى) ماذا تفعلين ؟ .. إنني لا أستطيع ..
لا أستطيع ..

قالت (نهى) من خلال توسلاتها :

- قد أنتحر ، إذا لم تفعل ذلك .

نظر إليها في ذهول ، قائلا :

* * * * * ١٢٥ * * * * *

- إلى هذه الدرجة .. أى تفكير هذا الذى أصاب مخك ؟!

★ ★ ★

خرج الدكتور (مراد) من حجرة الكشف ، ليستقبله
(صلاح) فى لهفة وقلق ، قائلاً :
- خير يادكتور .. لقد تأخرت كثيراً فى الكشف على
(نهى) .

قال الدكتور (مراد) :

- لا أخفى عليك يابنى .. الإصابة التى لحقت بها
خطيرة ، ولكنها تتأرجح ما بين العمى الدائم أو المؤقت .
نظر إليه (صلاح) فى قلق ، قائلاً :
- لا أفهم .

الدكتور (مراد) :

- لقد أصيبت (نهى) بصدمة فى مركز الإبصار بالمخ ،
وقد تكون بحاجة إلى وقت طويل ، حتى يمكنها استعادة
قدرتها على الإبصار مرة أخرى .

همس له (صلاح) قائلاً :

- أى أنه هناك أمل فى أن ترى مرة أخرى .

الدكتور (مراد) :

- هذا جانز فى بعض الحالات ، ولكن فى بعض
الحالات الأخرى قد لا يستعيد المرء قدرته على
الإبصار .. لا أستطيع أن أعطى لك رأياً قاطعاً فى مثل هذا
الأمر .

(صلاح) :

- ألا يفيد التدخل الجراحى فى علاج حالة كهذه .
الدكتور (مراد) :

- كلا .. التدخل الجراحى فى حالة كحالة (نهى) ..
خطير للغاية ، وقد يقضى فى حالة فشله ، على أى أمل فى
استعادتها القدرة على الإبصار .

(صلاح) :

- ما رأيك لو صحبتها للعلاج فى الخارج ؟
الدكتور (مراد) :

- لن يستطيع أحد فى الداخل أو الخارج تقديم شئ أكثر
مما قلته لك .. الأمر سيحتاج لبعض الوقت ، والصبر ،
والأمل ، وإذا لم نلاحظ أى تحسن على حالتها ، خلال
الأشهر الستة القادمة ، سأصحبها بنفسى إلى الخارج .
وهوى قلب (صلاح) ..
هوى ذبيحاً .

★ ★ ★

١١ - الحب الخانق ..

كانت جالسة في الشرفة ، وقد أسندت رأسها إلى ظهر مقعدها ، يسيطر عليها سكون تام ، وراقبها (صلاح) من الردهة ، قائلاً لأمه :

- أمازالت جالسة في الشرفة ؟

أجابته قائلة :

- منذ تركتها .. لقد حاولت أن أجعلها تتناول شيئاً من الطعام ، أو تتحدث معي في أي شيء ، بدلاً من هذا الصمت الحزين الذي يغلفها ، ولكنها رفضت أي استجابة لي .. حاول أنت معها يا بني ؛ فقلبي يتمزق من أجلها .
دخل (صلاح) إلى الشرفة ، حيث كانت جالسة ، قائلاً :

- (نهى) .. لماذا لا تأتين إلى الداخل ؟

أجابته بصوت شارد ، قائلة :

- إنني أرغب في الانفراد بنفسى .

(صلاح) :

- حسن .. ولكن على الأقل تناولي شيئاً من الطعام ،

***** ١٢٨ *****

فأنت لم تأكلي منذ الصباح .. ما رأيك ؟ .. ساعدك الطعام بنفسى ، وأحضره لك في الشرفة .. وسأضيء لك النور أولاً ، فالمكان أصبح مظلماً هنا .

قالت بمرارة :

- لقد أصبح الأمر متساوياً بالنسبة لي ، فلم يعد هناك فارق بين النور والظلام ، لمن هي مثلى .
لم يقو على التحمل أكثر من هذا ، فجثا على ركبتيه إلى جوار مقعدها .. وقال :

- أرجوك يا (نهى) .. لا تعذبنى أكثر من ذلك .. أرجوك اغفري لي .. أنت تعرفين أنني لم أقصد أن ألحق بك أي أذى .
(نهى) :

- لقد ألحقت بي الكثير من الأذى يا (صلاح) ، وقد كنت آخر من أتصور أن ينالني أذى على يديه ، فقد خنت حبي الكبير لك أولاً ، ثم حرمتني من البصر ثانياً .
(صلاح) :

- لو تعرفين كم أنا نادم على ذلك ؟

قالت بسخرية :

- حقاً .

(صلاح) :

***** ١٢٩ *****

- ليتنى أستطيع أن أفعل أى شىء لكى أكفر عن ذنبى ،
وأجعلك تسامحيننى .

(نهى) :

- تستطيع يا (صلاح) .

(صلاح) :

- كيف ؟

(نهى) :

- تزوجنى .

بدا أن الكلمة قد فاجأته ، فردد قائلا :

- أتزوجك ؟!

(نهى) :

- نعم .. فى هذه الحالة فقط قد يمكننى أن أسامحك .

صمت (صلاح) قليلا ، ثم قال :

- حسن يا (نهى) .. سأتزوجك .. سأفعل هذا إذا كنت

تريدينه .

(نهى) :

- شفقة بى .. ولتخفيف الوطء على ضميرك .. أليس

كذلك ؟

(صلاح) :

- أنت تعرفين أننى لا أكرهك .. بل إن لك تقديرا كبيرا

فى نفسى ، ولكن إذا كنت سأتزوجك ، فلن أستطيع أن
أخدعك وأقول لك إن هذا بدافع الحب ، وعليك أن تدركى
ذلك ، حتى لا تتهميننى بالقسوة والخداع ذات يوم .

تناولت رأسه بين ذراعيها ، قائلة :

- ستحببنى يا (صلاح) .. ستحببنى ذات يوم بقدر

ما أحببتك .. ستقرب الأيام المشاعر بيننا ، ووقتها لن

أهتم كثيرا إذا كنت مبصرة أو عمياء .. سيكفينى حبك ،

وجودك إلى جانبى .

دفن صلاح رأسه بين ذراعيها ، وقد أحس بأنه دفن

حبه وقلبه أيضا ، باستسلامه لرغبة (نهى) فى الزواج

منه ..

دفنه إلى الأبد ..

استيقظ (صلاح) من نومه ، فى اليوم التالى لزواجه

من (نهى) ، حيث وجدها وقد أعدت الإفطار له ، فهتف

قائلا فى دهشة :

- ما هذا ؟ كيف أمكنك أن تعذى الطعام بنفسك على هذا

النحو ؟

ابتسمت قائلة :

- لقد دربت نفسى على عمل أشياء كثيرة ، دون

الاعتماد على عيى ، ثم إن الأكل كان معدا تقريبا .

جلس (صلاح) فى المقعد المواجه لها على العائدة .
ولكنها نادته قائلة :

- تعال هنا .. الى جوارى .

أطاعها (صلاح) ، فجلس على المقعد المجاور ، حيث
أخذ يلوک قطعة من الطعام فى فمه ، دون أن يقوى على
بلعها ، وأخيراً اكتفى بتحريك الأطباق الموضوعه أمامه ،
دون أن يتناول شيئاً .

قالت له (نهى) ، وقد توقفت عن تناول الإفطار
بدورها :

- (صلاح) .. إنك لا تأكل شيئاً .

(صلاح) :

- بل أفعل .

ارتسمت ملامح الأسى على وجهها ، وهى تقول :

- (صلاح) .. لا تفعل ذلك مرة أخرى .

قال بدهشة :

- ماذا فعلت ؟

(نهى) :

- لا تكذب على .. لا تستغل عجزى فى الكذب على ،

فلدى من الإحساس ما يغنينى عن الاعتماد على نعمة
النظر ، التى حرمت منها .

(صلاح) :

- آسف يا (نهى) .. ولكن حقيقة ليست لدى أية شهية
لتناول أى شيء .

(نهى) :

- إنك نادم على الزواج منى .

(صلاح) :

- أبداً يا حبيبتى .. لا تفكرى فى ذلك .

أغمضت (نهى) عينيها ، قائلة فى صوت حالم :

- حبيبتى .. يا لها من كلمة ! .. خاصة عندما أسمعها

منك ، وكم تمنيت أن تسمعنى هذه الكلمة ذات يوم ، حتى
لو كانت غير حقيقية .

نهض (صلاح) من مقعده ، قائلاً :

- معذرة .. سأبدل ثيابى .

ولكنها أمسكت ساعده ، قائلة :

- تأكد يا (صلاح) أنك لن تندم على زواجك منى ..

ربما تشعر الآن أننى استغللت ما لحقنى من أذى على

يديك ، لإجبارك على الزواج منى ، ولكن صدقنى .. أنا لم

أفعل ذلك إلا لأننى أحبك .. أحبيتك قبل أن أفقد بصرى ،

وأحبيتك بعد أن فقدت بصرى على يديك .. لقد ظلت أحبك

دائماً .. ولم أقو على كرهك أبداً .

قال (صلاح) بضيق :

- (نهى) .. لماذا تحاولين تذكيري دائماً بمسئوليتي
عما أصابك ؟ .. لماذا ترغبين في إشعاري كل لحظة
بالذنب نحوك ؟

نهضت (نهى) من مقعدها ، لتتعلق بذراعه قائلة :
- إننى لم أقصد هذا مطلقاً يا حبيبى .. لقد أردت فقط
أن أعبر لك عن حبى .. يجب أن تعرف أننى غفرت لك كل
شئ .

(صلاح) :

- إذا كان هذا صحيحاً ، فأرجوك توقفي عن تذكيري
من أن لآخر بأننى تسببت فى فقدك لبصرى .. أرجوك .

★ ★ ★

فتح (صلاح) باب الشقة ، ليجدها جالسة على المقعد
المجاور ، وقد تجهمت ملامحها ، قائلة :
- أين كنت ؟

(صلاح) :

- لقد أخبرتك أننى ذاهب لزيارة صديق مريض .
قالت بصوت غاضب :

- كل هذا الوقت .

(صلاح) :

- هل سنعود إلى الغيرة والشجار مرة أخرى ؟

***** ١٣٤ *****

(نهى) .. لقد مرَّ أسبوع واحد فقط على زواجنا ، فلا
داعى لأن نتشاجر كلما ابتعدت عنك ساعة أو ساعتين .
(نهى) :

- ساعة أو ساعتين ؟! .. لقد غادرت المنزل فى
السادسة مساءً ، ومنذ قليل سمعت الساعة تدق الواحدة
بعد منتصف الليل .. وهل سمعت عن رجل يتأخر عن
منزله إلى ما بعد الواحدة صباحاً ، بعد أسبوع واحد من
الزواج .

زفر (صلاح) بضيق ، قائلاً :

- لقد اضطررتنى الظروف لهذا .. الرجل فى حالة
صحية متأخرة ، وكان بحاجة ماسة لوجودى إلى جواره .
(نهى) :

- حسن .. انتهى الأمر .. هل أحضر لك العشاء ؟

(صلاح) :

- سأعده بنفسى .

جلست (نهى) إلى جواره على المائدة ، قائلة وقد تبدل
صوتها :

- لا تغضب منى يا (صلاح) .. اعذرنى ، فأنا لا أطيق

ابتعادك عنى .

(صلاح) :

***** ١٣٥ *****

- يجب أن تكونى مستعدة لهذا يا (نهى) ، فأنا مسافر
غذا إلى (الإسكندرية) .

أحسنت برجفة ، وسقطت على أثرها الملعقة منها على
المائدة ، وهى تقول :
- مسافر ؟!

(صلاح) :

- نعم .. هل نسيت أن عملى هناك ؟ .. لقد انتهت
الإجازة التى طلبتها بالتليفون ، لأكون إلى جوارك ،
ويجب أن أعود لمقر عملى .
(نهى) :

- ولكن ماذا سأفعل أنا بدونك ؟
(صلاح) :

- كما كنت تفعلين من قبل .. ستبقيين مع خالتك حتى
أدبر الأمر ، وأبحث لنا عن شقة مناسبة فى
(الإسكندرية) .. وطبعاً سأتردد عليك أسبوعياً ، فى
الإجازة الأسبوعية .
(نهى) :

- لم أعد واثقة من قدرتى على تحمل ابتعادك عنى ستة
أيام كاملة أسبوعياً .
(صلاح) :

- سأتصل بك تليفونياً .

(نهى) :

- هذا لا يكفى .

(صلاح) :

- إذن .. ماذا تريدین ؟

(نهى) :

- أسافر معك إلى (الإسكندرية) .

(صلاح) :

تسافرين معى ؟ وأين نقيم هناك ؟

(نهى) :

- فى شقة مفروشة ، حتى يمكننا تدبير شقة
مناسبة .. أنا أعرف عدداً من أصحاب الشقق المفروشة
فى (الإسكندرية) ، ويمكن لأحدهم تدبير شقة لنا لنقيم
فيها معاً ، ولا تحمل همّاً بالنسبة للنقود ، فمعى مبلغ
مناسب ، تركته لى أمى ...

قاطعها (صلاح) باحتجاج :

- ما هذه السخافات .. ما الذى يدعوننا إلى الإقامة فى
شقة مفروشة ؟ .. ولماذا لا ننتظر حتى نجد الشقة
المناسبة ؟

(نهى) :

- لأننى أحبك ، ولا أطيق الابتعاد عنك .. ألا يكفى هذا ؟
(صلاح) :

- (نهى) .. لا أرى وجهها للتعجل .. فسوف أبادر فور وصولي إلى (الإسكندرية) بالبحث عن شقة ، وإعداد الأثاث اللازم لها ، ثم آخذك معى بعدها إلى هناك .
(نهى) :

- متى ؟ .. بعد سنة أو سنتين ؟ .. هل تعتقد أن العثور على شقة مناسبة سيتم بمثل هذه السهولة ؟ .. وإلى أن تنتهى من إعداد الأثاث ؟ يا لها من حجة رائعة للتخلص منى .. نعم ما حاجتك إلى زوجة عمياء ؟
صاح فيها :

- (نهى) ..

(نهى) :

- من الأفضل لك أن تكون بحريتك فى (الإسكندرية) ، حتى تتفرغ للقاء حبيبة القلب ، التى تركتها هناك .
ازداد انفعال (صلاح) ، قائلاً :

- توقفى عن هذا الحديث .

انخرطت (نهى) فى البكاء ، قائلة :

- معك حق .. فأنا التى فرضت نفسى عليك .. فرضت عليك زوجة عمياء لا تحبها ، ولا تطيق رؤيتها .

استمالت هذه الكلمات مشاعر (صلاح) ، فاقترب منها قائلاً باستسلام :

- حسن .. ستسافرين معى غذا إلى (الإسكندرية) ..
ستسافرين يا (نهى) .

★ ★ ★



١٢ - الخديعة ..

كان (صلاح) مستغرقاً في مراجعة بعض الأوراق الموضوعية فوق مكتبه ، عندما دخل عليه أحد زملائه ، قائلاً :

- (صلاح) .. الأنسة تريد مقابلتك .

رفع (صلاح) عينيه عن الأوراق ، ليراها واقفة أمام باب حجرته ، وهتف :

- (إلهام) !!

غادر زميله الحجرة ليتركهما بمفردهما ، حيث اقتربت من مكتبه ، قائلة :

- (صلاح) .. كيف حالك ؟

نهض واقفاً في ارتباك ، قائلاً :

- أهلاً (إلهام) .

(إلهام) :

- لقد حضرت من قبل للسؤال عنك ، ولكنهم أخبروني أنك لم تحضر بعد من (القاهرة) ، وأنت أرسلت في طلب إجازة لمدة أسبوع .

* * * * * ١٤٠ * * * * *

(صلاح) :

- نعم .. كانت هناك بعض الظروف .

قالت بتحرج :

- هذه الظروف منعتك حتى من الاتصال بى تليفونيا .. لقد أعطيتك رقم التليفون ، قبل أن تغادر (الإسكندرية) ، لكي تكون على اتصال دائم .. أليس كذلك ؟ أطلق زفرة قصيرة ، وهو لا يدري بم يجيبها ، وسألته قائلة :

- (صلاح) .. ماذا بك ؟

(صلاح) :

- لا .. لا شيء .

(إلهام) :

- هل حضرت معك والدتك ؟

(صلاح) :

- لا .. لم تأت معي .

(إلهام) :

- ألم تخبرها بعد ؟ .. لقد أخبرت أبى أنك ستحضر مع والدتك لمقابلته .. وقد رحب بذلك .

(صلاح) :

- (إلهام) .. مارأيك لو ذهبنا معا إلى الشاطئ ؟

* * * * * ١٤١ * * * * *

وفى المكان الذى جمع بينهما ، أخبرها (صلاح)
بالحقيقة ، قائلا بصعوبة :

- (إلهام) .. لقد تزوجت .

نظرت إليه غير مصدقة ، وهى تقول :

- تزوجت ؟!

(صلاح) :

- نعم .. تزوجت (نهى) .

قالت (إلهام) ، بذهول :

- غير معقول .. إنك تكذب على بلاشك .

(صلاح) :

- بل هذه هى الحقيقة .

(إلهام) :

- ولكن .. كيف ؟ .. وحبنا .. والاتفاق الذى اتفقنا

عليه معا قبل رحيلك !

(صلاح) :

- لقد اكتشفت أننى لا أستطيع التخلّى عن (نهى) .

(إلهام) :

- أيمكن أن تكون قد فعلت هذا ، خوفا من وطأة

الإحساس بالذنب نحوها ؟

كذب قائلا :

- لا .. لم أفعل ذلك لأى إحساس بالذنب .. كل ما هنالك
أننى عندما عدت .. كشفت أننى أحب (نهى) أكثر من أى
إنسانة أخرى ، ولا يمكننى الاستغناء عنها .

(إلهام) :

- وتلك المشاعر القوية التى كنت تبثها لى ؟ ..

وكلماتك عن الحب الكبير الذى ربط بين قلوبنا ، وعن
رغبتك فى الزواج منى ؟! .. هل كنت تخدعنى طوال
الوقت ؟

(صلاح) :

- لا أنكر أننى شعرت نحوك بعاطفة قوية ، خلال الأيام

الماضية ، ولكنى كشفت ، كما قلت لك ، أن حبى لـ (نهى)
أقوى وأعمق .

(إلهام) :

- كيف يمكنك أن تخدع وتتلاعب بالألفاظ على هذا

النحو ؟ .. لقد كنت تقول لى منذ عدة أيام : إن مشاعرك

نحوها لا تتجاوز مشاعر الأخ نحو أخته .

قال (صلاح) ، وهو يتعمد ألا ينظر إليها ، حتى

لا يضعف :

- كنت مخطئا .

(إلهام) :

***** ١٤٣ *****

***** ١٤٢ *****

- بل كنت تعبث بمشاعري ، وتحاول تسليية وقتك ..
أليس كذلك ؟

ولم يجيبها (صلاح) ، بل أخذ يحدق في الأمواج
المتلاطمة أمامه ، دون أن ينطق بكلمة .
وصاحت (الهام) قائلة ، بانفعال :

- تكلم .. قل أى شيء .. قل : إن هذه هي الحقيقة ..
وإننى لم أكن بالنسبة لك سوى وسيلة للتسلية وإضاعة
الوقت ، وإنك لم تحبنى أبدا .

أجابها (صلاح) ببرود ، قائلاً :

- على كل حال ، الحمد لله أن الأمور لم تتطور بيننا إلى
أكثر من هذا الحد .. لقد كانت علاقتنا قصيرة نسبياً .
قالت له (الهام) بأسى :

- ولكنها كانت زاخرة بالمشاعر ومعانى الحب
الرائعة .. المشاعر الزائفة .. والحب الوهمي .

استمر (صلاح) فى بروده ، قائلاً وهو يحاول السيطرة
على مشاعره :

- يمكنك أن تعتبرها سحابة صيف ومرت ، فهناك
الكثير من قصص الحب العابرة ، التى دفنها أصحابها فى
الرمال ، قبل أن يعودوا من المصيف .

قالت (الهام) ، وهى تمسح دموعه سقطت على

***** ١٤٤ *****

وجنتها ، بعد أن استوعبت أخيراً الحقيقة المرة ، التى
زلزلت كيانها :

- معك حق .. سأعمل على أن أستفيد من هذه
التجربة .. تجربة التعامل مع شخص مخادع ، يتلاعب
بمشاعر الآخرين ، إنها تجربتى الأولى ، ولكننى سأستفيد
منها ، ولن يكون الأمر فى النهاية سوى سحابة صيف كما
قلت ، أما عن الحب الذى ظننته بيننا ذات يوم ، فقد دفنته
منذ هذه اللحظة فى الرمال .

واندفعت تركض مبتعدة عنه ، فى حين أخذ هو ينظر
إليها فى أسى ، قائلاً :

- سامحيني يا حبيبتي .. سامحيني .. فقد فعلت هذا
من أجلك أردت منك أن تكرهينى ، وتبدنى حياتك مع
شخص آخر .. شخص لا يكون مقيداً بأغلال ذنب يشده
إلى أخرى ، ولكن حبنى لك سيبقى محفوظاً دائماً فى
قلبي .. القلب الذى أحبك ولن يحب سواك أبداً .. أبداً .

★ ★ ★

مرت الأيام ثقيلة ، قاتمة ، ما بين مرارة ضياع حبه
الوحيد ، واختناقه بحب (نهى) ، الذى تحول مع الأيام إلى
غيرة مرضية ، وحساب يومى دائم ، عن كل تصرفاته
وأفعاله ومشاعره تجاهها ، وعلى الرغم من أن (صلاح)

***** ١٤٥ *****

كان يعاملها بكل ود وحنان ، ويبذل أقصى جهده لإرضائها ، إلا أنها ظلت دائما تحاسبه على أحاسيسه وتطالبه بمشاعر كان يعجز عن التظاهر بها طوال الوقت ، وظل (صلاح) يلح عليها بعرض نفسها على عدد من أطباء العيون الآخرين ، ممن نالوا نصيبا عظيما من الشهرة ، لعل أحدهم يقترح علاجاً فعالاً لعينيها ، ولكنها ظلت ترفض بإصرار غريب آثار دهشته ، وتردد أنها لن تذهب لأى طبيب آخر ، بعد الدكتور (مراد) ، حتى عندما عرض عليها الذهاب معه إلى واحد من أكبر أطباء العيون الفرنسيين ، فى أثناء زيارته لأحد المستشفيات فى (الإسكندرية) ، تمسكت بالرفض دون إبداء سبب واضح .

وذات يوم عاد (صلاح) إلى الشقة التى استأجرها ، بعد أن انصرف مبكرا من عمله ، وبحث عن زوجته ، فوجدها فى الحمام ، ودخل إلى حجرته ليبدل ثيابه ، وقد أنهكه التعب ، إذ اضطر إلى إنجاز الكثير من العمل فى هذا اليوم ، وبينما هو يبدل ثيابه ، استرعى اهتمامه وجود أحد الكتب الدراسية لزوجته فوق (الكومودينو) المجاور للسريـر ، فتناول الكتاب ليجد علامة موضوعة على الصفحة المفتوحة فى الكتاب ، كما استلفت نظره وجود عدة خطوط بالقلم الجاف تحت بعض السطور بشكل

واضح ، وفى تلك اللحظة دخلت (نهى) إلى الحجرة ، حيث وجدته ينظر فى صفحات الكتاب ، فاعتراها ارتباك واضح ، وهى تقول :

- (صلاح) .. لقد عدت مبكرا من العمل ؟

نظر إليها صلاح بدهشة ، قائلا :

- وكيف عرفت أننى عدت من عملى ؟

ازداد ارتباكها ، وهى تقول :

- لقد سمعتك تفتح باب الشقة .

(صلاح) :

- شىء غريب ، فلقد ظننت أن المياه المتدفقة من الدش

تحدث صوتا عاليا ، يغطى أى صوت آخر بالخارج ، كما

أنك لم تحاولى أن تنادينى .

تمالكت (نهى) نفسها ، قائلة :

- إذا كنت قد فقدت بصرى ، فلدى حاسة سمع قوية ،

مازالت باقية .

سألها (صلاح) :

- هل أنت التى وضعت تلك الخطوط بالقلم أسفل

السطور ؟

اقتربت (نهى) قائلة :

- كتاب ؟ .. أى كتاب ؟!

ثم تظاهرت بالتذكر قائلة :

- آه .. لقد كنت أنقب بين كتبي الدراسية ، كنوع من التسلية ، وقد وقع هذا الكتاب بين يدي بالمصادفة .. لا بد أن تلك الخطوط التي رأيته قد سطرت .. قبل .. قبل أن أفقد بصرى .

لم يقتنع (صلاح) بهذا التبرير .. ففضلاً عن أن القلم كان مفتوحاً ، وموجوداً إلى جوار الكتاب ، مما يدل على أنها استخدمته منذ قليل ، فارتباكها الواضح وتنبيهها لوجوده داخل الغرفة قوى من الشك بداخله .. أصبح هرماً من الشك ..

★ ★ ★

استقبل الدكتور (مراد) (صلاح) فى عيادته ، حيث بادره هذا الأخير قائلاً :

- دكتور (مراد) .. أريد أن أعرف الحقيقة بشأن ما أصاب عيني (نهى) .
الدكتور (مراد) :

- لقد قلت لك : إنها بحاجة لبعض الوقت ، حتى يمكننا أن نحكم على حالتها جيداً .
(صلاح) :

- إننى أشك فى تشخيصك ، ويزداد ارتياضى هذا

***** ١٤٨ *****

لإصرار زوجتى على ألا تلجأ لطبيب آخر سواك .. قل لى الحقيقة ، وإلا عرفتها بنفسى ، وعرضتها على القومسيون العام لفحص عينيها .

تهالك الطبيب فوق مقعده ، قائلاً :

- سأقول لك الحقيقة .. فأنا نفسى كنت غير راض عن موافقتى لها على هذا الأمر ، ومنذ شاركتها هذا ، وأنا أشعر بتأنيب الضمير ، وبأننى ارتكبت مخالفة جسيمة ، فى حق شرفى المهنى .

وروى له الدكتور (مراد) كل شئ بشأن الاتفاق الذى عقده مع (نهى) ، وبأنها تعد الآن من الوجهة الطبية مبصرة تماماً ، وظل (صلاح) يستمع له ذاهلاً ..

لقد عرف الآن فقط كيف استغلت (نهى) إحساسه بالذنب نحوها ، وتمكنت من خداعه ..

لقد تمكنت بخديعتها من إجباره على الزواج منها ، وإبعاده عن الإنسانية الوحيدة التى أحبها ..
وأحس بالغضب يكاد أن يعصف بكيانه ..
وبقلبه .

★ ★ ★

***** ١٤٩ *****

١٣ - لن أدفن حبيبى ..

نعمد (صلاح) أن يتظاهر أمامها بسقوط خطاب مفتوح من جيب سترته ، فى أثناء تبديله ثيابه ، وانحنى ليلتقط الخطاب من على الأرض بشكل ظاهر ، حتى يثير فضولها ، وأعاد وضعه فى جيبه ، ثم وضع السترة فى الدولاب ، وتوجه إلى الحمام ، وانتظرت (نهى) حتى رآته يدخل الحمام ، وأنصتت لصوت المياه المتدفقة من (الدش) ، ثم أسرعت إلى الغرفة ، واستخرجت الخطاب من سترة (صلاح) ، لتقرأ ما فيه ..

وفى تلك اللحظة دخل عليها (صلاح) الحجرة فجأة ، ليراها وهى تقرأ ما جاء فى الخطاب .. وتراجعت (نهى) بظهرها إلى الحائط ، وقد سقط منها الخطاب على الأرض ، وقد باغتها دخول (صلاح) ، الذى قال لها بصوت حاد كالموسى :

- صدق ظنى ، وانكشفت خدعتك .. لقد كنت تخدعيني طوال الوقت .. تظاهرت بالعمى لتجبريني على الزواج منك ، وتبعديني عن الإنسانية التى أحببتها .. أية أنانية .. وأى شر هذا الذى تحملينه بين جوانحك ؟! .. كيف سمحت لنفسك أن تغشيني على هذا النحو ؟!

***** ١٥٠ *****

قالت (نهى) :

- (صلاح) .. لقد كنت أنوى أن أخبرك .

(صلاح) :

- متى ؟ بعد أن تنالى بغيتك ، وتستثمرى إحساسى بالذنب نحوك حتى النهاية .. بعد أن تتأكدى من أننى ابتعدت عن الإنسانية التى أحببتها من أجلك .
بكت قائلة :

- (صلاح) .. لقد فعلت هذا لأنى أحبك ، ولا أريد أن أفقدك .

قال بحدة :

- بل فعلت هذا من أجل أنايتك ، ورغبتك الشريرة فى الاستئثار بى ، ولو على حساب حياتى وقلبى ، ولا أدرى كيف تصورت أنك ستنجحين فى تمثيل هذا الدور المخادع حتى النهاية .

ازداد نحيبها ، وهى تمسك ذراعه متوسلة :

- (صلاح) .. أرجوك لا تظلمنى .

جذب ذراعه من يدها ، قائلاً :

- أنت التى ظلمتنى .. وظلمت نفسك ، وظلمت إنسانية أخرى بريئة لا ذنب لها .

قالت بصوت متشنج :

***** ١٥١ *****

- هذه الإنسانية أرادت أن تأخذك منى ، ولم أكن لأسمح لها بهذا أبدا .

قال (صلاح) بصوت حاسم :

- وأنا لن أكون لك بعد اليوم أبدا .. أنت طالق ..

طالق .. طالق .

صرخت (نهي) فى وجهه :

- لا .. لا يا (صلاح) .. لا تتركنى يا (صلاح) ..

لا تدفعنى بعيدا عنك بهذه القسوة .. إننى أحبك .. إننى مستعدة لأن أكفر عن خطئى على أى نحو ترضاه .. مستعدة أن أكون لك خادمة ، وأن أفعل أى شئ من أجلك .. ولكن لا تتركنى .

ولكن (صلاح) لم يستجب لتوسلاتها هذه المرة ، وإنما أسرع بمغادرة المنزل على الفور ..

وفى تلك البقعة من الشاطئ ، التى التقى فيها بـ (الهام) لأول مرة ، ذهب (صلاح) لينفس عن همومه وأحزانه ، فقد أصبح المكان على الرغم مما يحمله له من مرارة الشعور بالفراق ، مصدر راحته ، وملجأه للهروب من همومه ..

ولم يصدق نفسه عندما رآها .

كانت واقفة تنظر إلى البحر ..

***** ١٥٢ *****

ربما جاءت مثله لتغسل فيه همومها ، وتجتر ذكرياتها معه .

واقترب منها هامسا :

(الهام) .

استدارت فى حدة لتتنظر إليه ، وقد بدت آثار المفاجأة واضحة على وجهها ، ولكنها سرعان ما همت بمغادرة المكان ، وقد تغلبت على وقع المفاجأة ، واكتسى وجهها بقناع الجمود ، ولكن (صلاح) أمسك بساعدها ، قائلاً :

- أرجوك يا (الهام) .. لا ترحلى .

قالت بصوت كأنه يأتى من بئر سحيقة :

- ماذا تريد منى ؟ .. لقد رحلت سحابة الصيف ..

جئت أودعها قبل أن أرحل بدورى غدا إلى (القاهرة) .

(صلاح) :

- قبل أن ترحلى .. أريد أن أروى لك كل شئ .. أريد

أن تعرفى أننى لم أحب سواك ، وأننى أحوج ما أكون إليك ، وبعدها لك الحق فى أن تهجرينى ، أو تمدى لى يدك لنعيد ما بدأناه .

وروى لها (صلاح) كل شئ ، عن السبب الذى حال

دون عودته إلى (الإسكندرية) هو ووالدته ، والتقدم

للزواج منها ، وعن سبب زواجه من (نهي) ، والخدعة

***** ١٥٣ *****

التي استخدمتها لإتمام هذا الزواج ، وعن اضطراره
للتعامل معها بقسوة ، دون أن يخبرها بالحقيقة ، حتى
لا يدفعها ذلك إلى حرمان نفسها من السعادة ، وغلق
أبواب قلبها أمام أي حب آخر ، كما فعل هو بنفسه ، ونظر
إليها بعينين متوسلتين ، قائلاً :

- (إلهام) .. لقد تحملت خلال الفترة الماضية ما يكفي
من العذاب والحرمان .. أنت الإنسانية الوحيدة التي أحبها
قلبي .. وهذه المرة لا أريد أن أفقدك أبداً .

مسحت (إلهام) بيدها وجنتيه ، قائلة :

- وأنا أيضاً لن أسمح لك بهذا يا (صلاح) .. لقد
حاولت أن أدفن حبي لك في الرمال ، فلم أستطع .. أتعرف
لماذا ؟ لأنه ما يزال حياً حتى هذه اللحظة في قلبي .
ووسط هذه العاطفة الجياشة تنبعت (إلهام) فجأة ،
قائلة :

- ولكن المهم أن تلحق الآن بـ (نهى) .
(صلاح) :

- لقد انتهى ما كان بيني وبينها .
(إلهام) :

- هذا غير صحيح يا (صلاح) .. إنها في النهاية ابنة
خالتك ، ومازلت مسنولاً عنها .. إنك لا تعرف ما الذي

يمكن أن تلحقه بنفسها ، وقد تركتها على هذه الحالة التي
كانت عليها .

أحسن (صلاح) بالقلق ، فلا يمكن التنبؤ بما يمكن أن
تقدم (نهى) عليه من تصرف ، وقال :

- معك حق .. سأذهب إليها ، وأعمل على إعادتها إلى
(القاهرة) ، ثم ألحق بك .

وقبل أن يغادر الشاطئ أمسكت (إلهام) بيده ، قائلة
في خوف :

- هذه المرة ستعود يا (صلاح) .

قبل يدها ، قائلاً :

- بعد اليوم لن يفرقني عنك سوى الموت .

دخل (صلاح) إلى الشقة ، فوجد كل شيء محطماً ،
ووجد (نهى) في حالة هستيرية ، وهي تلقى الأشياء على
الأرض في عنف ، وقد تشعث شعرها ، وأخذت تلهث
بشدة .

اقترب منها قائلاً :

- (نهى) .. (نهى) أجيبيني .

ولكنها لم تجبه ، بل استمرت في تحطيم الأشياء ،
دونما إرادة واعية منها ، وتناول (صلاح) سماعة الهاتف
ليتصل بالمصحة النفسية ، التي كانت تعالج فيها من قبل ،
حيث طلب الطبيب قائلاً :

- دكتور (فوزى) .. أنا (صلاح) .. (نهى) فى حالة نفسية مضطربة للغاية .. إنها معى هنا فى (الإسكندرية) .
خذ العنوان ، وأرجو إرسال سيارة المصحة فوراً ، وبأسرع وقت .

وتمكن (صلاح) بصعوبة من السيطرة على (نهى) ،
وتقييد حركتها ، حيث حضرت سيارة المصحة بعد عدة ساعات لأخذ (نهى) .

وفى تلك اللحظة جاءت (إلهام) ، حيث قالت :

- لقد قلقت عليك ، فجئت للاطمئنان بنفسى .

ونظرت إلى (نهى) ، التى أخذت تصرخ فى أثناء اقتيادها إلى سيارة المصحة ، قائلة :

- (صلاح) .. لا تدعهم يأخذوننى يا (صلاح) ..

(صلاح) لا تتخل عنى .. لا تدعهم يبعدوننى عنك .

ونظرت إليها (إلهام) بأسى ، قائلة :

- يا لها من مسكينة !

قال (صلاح) ، وهو يتابع تحركات (إلهام) ، فى أثناء هبوطها لسلم المنزل :

- بمشيئة الله ستشفى ، ولن أتخل عنها أبداً .. سوف

أظل دائماً مسنولاً عنها ، وستبقى دائماً فى رعايتى ،
فمهما حدث فى النهاية ابنة خالتى ، وبمثابة أختى ،

وسيبقى لها دائماً مكان فى قلبى .. سأقوم بواجبى تماماً
نحوها ، ولكن لن يكون هذا على حساب حبنا وقلبيننا مرة
أخرى .. لن أسمح لهذا أن يحدث أبداً .

جاءت عبارته هذه فى اللحظة التى تحركت فيها
السيارة ، متجهة إلى المصحة ، فى حين تشابكت أصابعه
مع أصابع (إلهام) ، وهما يراقبان ابتعادها ، وكأنهما
يصدقان على هذه الكلمات ..
كلمات الحب .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

المؤلف



١. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

رجل وقلبان

عاش (صلاح) تجربة
قاسية، أحسَّ خلالها أنه موزع
بين قلبه وضميره.. بين إحساسه بالحب
الذي عرفه لأول مرة في حياته، وبين إحساسه
بالمسؤولية التي لازمته طوال سنوات
عمره.. ترى أيهما يتعين عليه
أن يختار في النهاية؟..
قصة رجل وقلبين..

٤٧